الرجال يغسلون أكثر بياضاً

عماد الساعى

سعيد رأفت للنشر والتوزيع

الرجال يغسلون أكثر بياضاً

عماد الساعي

• الطبعة الأولى ..... سبتمبر ٢٠١٩

الرسوم الغلاف والداخلية : الفنان على النجار
التصميم الداخلى و الغلاف : جورج جبره

رقم الإيداع : ١٩٣٩٩
الترقيم الدولى : ١-٥٧-٦٧٢٧-٩٧٧-٩٧٨

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

إهداء :

إلى كل من أحبهم ..
أبي...
أمي...
زوجتي...
إخوتي...
بناتي..
إلي مصدر إلهامي .. إلى تلك السبرتاية النحاس المجنزرة , إلى كنكة القهوة ذات اليد الخشبية المحروقة , إلى ذلك الفنجان ذو الطبق المنشطوف .

أُهدي هذا الكتاب ...

عماد الساعي

المحتويـات

١.الرجال يغسلون أكثر بياضاً ٩

٢.شبشب الست ٢٧

٣.معركة ذات الصوانى ٣٧

٤.فى عشق الملوكية ٥١

٥.حُماية العيد ٦٥

٦.عين أعيان الطعمية ٧٧

٧.أقشرلك برتقالة .. ياحبيبي ٨٩

٨.صديقى المسيحي ٩٧

٩.أنا وعبد الناصر .. والجنيهات السبعة ١٠٥

الرجال يغسلون أكثر بياضاً

خلال فترة عصيبة مرت بها أسرتي ... جعلت من الضرورة أن تبقي زوجتي بجوار إبنتي في المستشفي لفترة طويلة .
وكان لابد للعبد لله أن يبدي شيئاً من المروءة والشهامة ، مبادراً متطوعاً بالقيام بواحدة من المهام التافهة - من وجهة نظري - وهي الغسيل .

ففي لحظة عنترية نتيجة لفرط قلق زوجتي لوجودى انا وإبنتي الصغري وحيدين بالمنزل , وعند ذكرها جملة ... حتعملوا ايه ؟ ... الغسيل تلاقيه بقي متلتل فى البيت .. تطوعت...وبلا أي تفكير مسبق قائلاً: ماتقلقيش على الغسيل.... انا حاخلصهولك ... لم ألحظ أي بوادر للفرح أو الإمتنان على وجه حرمنا المصون ... بل كان الرد قاسياً : معلش بلاش أنت ؟؟

ما هذا الإحباط؟ ... لم يظنون دائما أن الرجال قليلي الحيلة , وأن ما تفعله الزوجات يعد دربا من المستحيل ويحتاج مهارة وعبقرية ....
ونظراً لحالة العنترية التى إنتابت العبد لله بلا أي مناسبة , إلا من ذلك القدر الفاحش من المروءة والشهامة , ومن منطلق تلك النخوة الرجولية , لم تأخذني العزة ولا الكرامة ولم يهن على كبريائى من تلك العبارة الصادمة, بل تجاوزت عبارة (معلش بلاش أنت) على أنها قيلت بمعني (مش عايزة أتعبك) .

بينما من داخلي أدرك تماما أن (بلاش إنت) هي جملة منقوصة من عبارة (بلاش إنت, حتعك و حتخرب الدنيا كالعادة) ,فبلعت كبريائي وأعتبرت أنه التحدى وأكملت إصراري حتي بدت علي حرمنا المصون أعراض الموافقة على مضض .....

وبناء علي الحركة العنترية والإصرار المريرللعبد لله ، بدأت زوجتي في إصدار التعليمات الأولية للغسيل مستهلة بالمقدمة المختصرة (حنشوف) ... تلك الكلمة التى تقتل كل كبرياء الطامحين أمثالى فى خوض تجارب إثبات الذات فى معارك البطولة والشرف.
وفيما بعد مقدمة (حنشوف)... مدت حرمنا المصون يدها لتعد وتعدد الخطوات على أصابع يدها اليمني في شكل الأوامر :
بص ياسيدى ..... (دخلة حلوة برضه) ...
لازم الأول تفصل الهدوم البيضاء عن الألوان .....
تلم كل كوم لوحده.....

حتبدأ بالأبيض مع مسحوق أوتوماتيك .....
ما تنساش تحط ديتول و ملطف.....
الحرارة علي ٦٠ في الغيارات.....
القمصان ما تتحطاش في المجفف.... وتتنشر في البلكونة...
الفوط مع بعضها ،،، ما تنساش ...
ماتنساش التايمر فى المجفف.....
ما تكبسش الغسالة للآخر .....
أربط الشرابات فى بعضها .... أو حطها فى الكيس الأبيض اللى فوق الغسالة
فك زراير القمصان وإقفل سوست البنطلونات ....

وأستمرت حرمنا المصون فى إصدار التعليمات معددة الخطوات والملاحظات على أصابع يدها .... مكررة كلمة (واخد بالك) ... أكثر من مرة ... لتمحي أثر كلمة (بص ياسيدى) التى صدرت منها سهواً..

خلال فقرة التعليمات ظل العبد لله واقفا كما التلميذ ... يتلقي التعليمات مردداً (حاااضر يافندم) ... بينما أبرطم في نفسي (علي إيه أم الغاغا دي كلها....علي شنوية غسيل) ؟؟

وبينما لازلت أردد (حاضر بمد الالف , إمعانا فى مدى تفهمي وإستيعابي) ، بينما تدرك زوجتي بحكم العشرة أن حاضر بهذه الطريقة تعني (خلصي) ,فقد كنت أرددها مهاوداً ومستخفاً بما تصدره من تعليمات حتي ختمت زوجتنا المصون فقرة التعليمات بجملة (زينا يستر)...؟؟؟

سقطت تلك الكلمة فوق رأسي كالصاعقة (زينا يستر) ؟
أنا يتقاللي (زينا يستر) من شنوية غسيل ، وأنا من ساهم في تطوير وتعديل وإنشاء وانا ،،، وأنا ،،، ويحك يا إمرأة،؟ ألا تقرأين التاريخ؟

أنا يتقاللي (زينا يستر) من شنوية غسيل وتحذرني من التعامل مع أغبي أجهزة كهربائية في المنزل فهي ليست إلا غسالة أتوماتيكية تافهة ومجفف أتفه ؟

إذن ...فلتكن الحرب ، يا أنا يا الغسيل !!!
أنا يتقاللي (زينا يستر) ،،، هع ،،، هزلت.

(٢)

خلال جولة سريعة في السوبر ماركت كنت قد دبرت كل أسلحة الحرب الضروس , بل وأمعنت فى أن أجود بإضافة بعد المشتريات بعد أن وجدت إحدي السيدات فى السوبر ماركت تسأل البائع : ألاقى فين الزهرة السايلة؟

سيدي يا سيدى .... أهو كده الكلام .....

ولم لا أضيف الزهرة السائلة إلى البياضات والغيارات كي يكون غسيلي شاهق البياض كما كانت تفعل أمي رحمة الله عليها , ليكون كالقنبلة رداً على تلك القنبلة التى ألقيت فى وجهي بعبارة (ربنا يستر)...

وتتبعت السيدة الفاضلة حتي رأيتها تضع فى سلتها زجاجتين من الزهرة السائلة ، وفعلت مثلما فعلت ... ومالة نجيب زجاجتين ... مش حيخسروا ..

وأكملت مسيرة التحضير لادوات الحرب , فها هو المسحوق الذي أوصت به زوجتي... (ينهار اسود) .... هو غالى كده ليه ؟

هو أنا كنت بأدفع ده كله ..... وأنا أقول ؟؟ .... كلما ذهبوا الى السوبرماركت أصاب برعشة مع نغمة الرسالة التى تعلن بوصول رسالة من الفيزا .

تلك الرسالة التى تسبب رجفة فى القلب ورعشة فى أوصال كل الرجال .. يتبعها عرق بعد قراءة محتوى الرسالة , مع كثير من البرطمة التى يصاحبها ضيق فى التنفس ... وغالباً ما تذهب هذه الأغراض بكثرة (الحولقة) مردداً لا حول ولا قوة الا بالله سراً عدة مرات حتي يعود التنفس لطبيعته (مجربة).

أكملت الشراء في ظل حالة من البرطمة والحسبنة وترديد كل أشكال الدعاء المستجاب على كل شركات صناعة المنظفات مركزاً على ذلك الدعاء الذي يجهر به إمام الجامع فى خطبة الجمعة حين تأتي سيرة اليهود فيصب عليهم الويلات والوعيد .

ما علينا ...
فها هو المسحوق (أوتوماتيك وألوان) ...

الملطف برائحة الياسمين ...
المطهر الفظيع المريع اللى بيقضي على كافة الجراثيم..
طبعاً بأسمائهم التجارية كما أملت على حرمنا المصون فى فقرة التعليمات المستهلة ببص ياسيدى .

ولأول مرة لم ترتعد أوصالى مع رنة التليفون برسالة الفيزا , بل صارت تسودني حالة من الفرح الشرير بعد تلك الحركة الخبيثة النميسة بإضافة سر الاسرار وهو الزهرة السائلة (قنبلة الموسم وكل موسم).

ركبت السيارة متوجهاً إلي ساحة المعركة (المنزل) ، حاملا كل اسلحة المعركة ... ماراً بعم مصطفى بتاع الكبدة , ضارباً سندويتشين من الحجم الملاظ لرفع المعنويات ... فلن ادخل تلك الحرب بمعدة فارغة , فالجيوش تمشي على بطونها كما قال نابليون بونابرت.

ولم لا.... هو نابليون .. فقد إنتابني إحساس أني نابليون بونابرت فى نفسي متوجها إلى ساحة القتال , وفكرت أروح أسرح شعري وأنزل قوصة على جنب ويبقي نابليون بجد (أصلي) .... حاسس اني لسعت ..
وبجملة اللسعان وفى الطريق قررت أن أهمس لنفسي بتلك الأنشودة الجميلة لرجال الصاعقة (في البر بنسير ... في البحر بنغوص... في الجو بنطير... منش أحنا اللي نخاف من الغسيل)...
طبعاً الجملة الاخيرة لم يرددها رجال الصاعقة ولكن لقيتها ماشية مع القافية فقررت (أجود).

منش بقولوكوا ...لسعت...
فعبارات (أما نشوف,,, وربنا يستر) ... تؤثر على الحالة المعنوية للمحاربين المغاوير أمثالى , بل وتؤثر على قواهم العقلية .

(٣)

وصلت إلى منزلنا العامر أو إلى ساحة المعركة لأبدأ فى إرتداء ملابس القتال ... شورت - تي شيرت - والشبشب , متغاضياً عن موضوع قوصة بونابرت , فيكفيني ذكاء روميل فى تلك المرحلة .

وبدأت عملية جمع الغسيل من كل سبت غسيل في كل غرفة ، فزوجتنا المصون تخصص لكل فرد من الاسرة (سبت غسيل).

يا نهار ازرق (إيه ده كله) من أين أتي كل هذا الغسيل ؟

فحرمنا المصون كان عندها حق , فقد كانت تسير فى البيت فى حالة من البرطمة بجملتها الشهيرة وقت جمع الغسيل :
يا الله علي سبت الغسيل اللي مابيفضاش..... لم ترهبنى الكمية ... ياما دق على الراس غسيل ... صارخا .... أسد يالا (بصوت علي رييع)
مردداً في داخلي (ما تخافش) كله حيتفرم بإذن الله .

وبدأت عملية الفرز سهلة بسيطة فالألوان في ناحية والأبيض في ناحية والفوط في ناحية والغيارات في ناحية ... سهلة ، والله .
كنت أظنها سهلة إلي أن واجهتني تلك (الكوفيرته السكري)، أو (الأوف وايت) كما تسميها زوجتي؟؟
وبعدين في أم اللون ده ؟؟... كيف يتم تصنيفه , وهل سيوضع مع كوم الأبيض أم الألوان ؟
وللحظة تخيلت أن هذه الكوفيرته ضمن فريق المؤامرة أو فريق (ربنا يستر) , ذلك التحالف الشرير بقيادة زوجتي والذي يسعي الي إفشالي بتلك الكوفيرته...

لقد ترسخ فى ذهني حقيقة أن الكوفيرته بتستهبل وعاملة نفسها بيضاء ... أو أن زوجتي كانت تعلم بتلك الكوفيرته بلونها الغريب , وتركتها للإختبار... كما كنت أترك سؤال فى الامتحانات ليتميز به الطلاب المتفوقين... ولكن .....علي مين ؟؟؟

لقد أدركت حجم المؤامرة ... فقررت أن أعامل تلك الكوفرتة معاملة المحترفين , فقذفتها بكل إزدراء فوق قمة كومة الملابس الملونة .
ثم كانت المواجهة الكبري (الفوط) ، يا نهار ازرق دول .... ؟٠ لون ؟؟
أبيض ... أحمر ...أزرق ... وذلك البشكير الاسود الغالى ... وأعتقد أنه من البديهي أن أتعامل مع روب الحمام الأبيض بنفس معاملة الفوط ....

ياللهول ... إنها المؤامرة الكبري ... فعلي ما أذكر أن تعليمات زوجتي كانت حازمة... حاسمة ...
فلازلت أذكر أن تحذيرات بند الفوط كان عند إصبعها الإبهام ... فقد امسكت بهذا

الإصبع طويلا .. منبهة ومحذرة .... الفوط تغسل مع بعضها ... والعمل ...
نحط الفوط على بعضها وبنا يستر ولكن ..ماهو المسحوق المناسب للفوط فى ظل زحمة الألوان ...فمنها الأبيض والملون ؟
هامساً : سيبك من الفوط ... نأجلها شوية ...

ما علينا ،،، نركز ونسيبنا من التفاهات ...وليبدأ الجهاد ؟
ملأت الغسالة بالملابس الملونة ... ومعها تلك الكوفيرته الشريرة
إفتح الدرج ... لوضع المسحوق ... وبعدين بقي ... الدرج به ثلاث خانات ... أيه بيتحط فين؟
لستر بنا كانت هناك آثار للمسحوق القديم فى أحد الخانات ...
الآن قد عرفت أين يوضع المسحوق ....أما عن باقى المكونات فلأضعها فوق بعضها ... فستختلط فى النهاية .... مش كيميا يعنى ...

ولنكمل ... نضع كوب من مسحوق الألوان ... قليل من المطهر ... قليل من المنعم أوالملطف.. يا سلام يا سلام .
وهنا .. قررت أن أكافئ نفسي بسيجارة... محاولا البحث عن نظارة القراءة لأري الحروف المكتوبة على الغسالة ... فقد حانت اللحظة الحاسمة .
أطلقت نفس السيجارة فى الهواء ..... ماله الغسيل .... شغلانة تافهة ....

(٤)

وحانت لحظة الحسم ...لحظة الهجوم وإسترداد الكرامة فى معركة الشرف ...مرددا الله أكبر ومستجمعا كل قواي فى الضغط على زر التشغيل.

ندوس بقي علي الزر..... تشتغل ؟؟
فين أم الزرار ؟
وأنهي زرار فيهم ؟

وبعدين ايه البكرة دي المكتوب عليها A,B,C , وماذا تعني هذه الحروف؟
ماهذا العبث ؟... فمن المعروف أن A,B,C تبعها D ... ولكن على تلك البكرة اللعينة مكتوب A,B,C ولكن هنا يتبعها K؟

مهزلة....
هـل وصـل الغبـاء بصانعـي الغسـالات إلـى هـذا الحـد....ألا يعرفـوا ترتيـب الأبجديـة الانجليزيـة ...
فأغلـب الظـن أن صانـع تلـك الغسـالة سـاقط إعداديـة ... وفاشـل إنجليـزي ولا يعـرف ترتيـب الأبجديـة الإنجليزيـة....
إيه اللى جاب K بعد C ؟

ماعلينا...
ومن تلك البكرة المطلسمة إلي بكره اخري وهي بكرة الحرارة ،،،،، وبعدين بقي ؟؟
وهي الهدوم الملونة بتتغسل علي درجة حرارة كام ؟
هي قالت رقم ٦٠ لكن ٦٠ لأي نوع من الغسيل ؟
فكـرت للحظـات أن أسـتعين بزوجتـي ولكـن جملـة (ربنـا يسـتر) ظلـت عائقـا ، فكرامتـي فـوق كل شئ، وربنـا مـا يحكـم علـي حـد بشـماتة الزوجـات .

ثم فكرت أن أستعين بصديق ...
آه .... هـو حسـام مافيـش غيـره ... مطلـق مـن ٥ سـنين وأكيـد خبـره فـى الموضـوع ده ...وهنـا أدركـت المثـل (جبتـك يـا عبـد المعيـن) ... فلـم يكـن نصيبـي إلا التهكـم مـن هـذا الصديـق الفاشـل ... فمـا زالـت أختـه تأتـي اليـه كل إسـبوع للقيـام بهـذه المهمـة بمـا أنـه فاشـل ...

ولاحـت لـي فكـرة ان أسـتعين بأحـد أقاربـي مـن بنـات العيلـة ... فالعبـد لله ليـس لـه إخـوات بنـات ... وكذلـك زوجتـي ... فهـي البنـت الوحيـدة ضمـن أربعـة مـن الإخـوه كلهـم مـن الذكـور , ممـا أدي إلـى حرمـان بناتـي مـن كلمتـي (عمتـو) , (خالتـو) مـدي الحيـاة .

تلاشـت فكـرة طلـب المسـاعدة مـن إحـدى بنـات العيلـة , فأنـا علـى يقـين بـأن الفضيحـة ستنتشـر كالنـار فـي الهشـيم وإحنـا عيلـة (مايتبلـش فـي بقهـا فولـة اصـلا).

طيب ليه الحيرة دي ،،، ربنا يخليلنا الحاج (جوجل) ...
وأحضـرت الكرسـي وجلسـت أنـا والغسـالة والأيـاد والحـاج جوجـل ... وخامسـنا نظـارة القـراءة ....
واضعـاً سـاقاً فـوق الاخـري , مشـعلاً سـيجارة كمـا (عزيـز بيـه الاليـت) فـى رسـوم عمنـا مصطفـي حسـين - رحمـه الله...

وبدأت في إستخدام كلمات البحث التي ستكون فضيحة موثقة لو أمسك أحدهم بموبايلي وشاهد ما كنت أكتبه؟
وكتبت ... غسالة أوتوماتيكية... درجة حرارة ... غسيل ... ألوان .... وأتي الفرج من العم جوجل .....
فظهرت إجابات كثيرة وتعليقات متعددة , ومن الواضح أن العبد لله لم يكن حالة منفردة فى رحلة البحث عن طرق تشغيل تلك الغسالة الحقيرة ساقطة الاعدادية .

ولحسن الطالع , وستر ربنا, تجلت الإجابة واضحة وبالصورعلي جروب (نواعم) ؟
نعم ... جروب نواعم..... بل ووجدت وصف أفضل على جروب فتكات...

يادي الفضايح....
وتخيلت لو علم رجال الصاعقة أني اتصفح جروب يسمى (نواعم) ... بحثا عن حل للورطة الحالية لكان نصيب العبد لله , زفة ميري علي نغمات (يا ناعمة ياغُريبة) بعد أن إقتبست شئ من شعارهم فى شحذ الهمم .

الحق يقال , أن موسوعتي نواعم وفتكات كانتا تحملان الإجابة الشافية , نواعم وفتكات ... يادي الفضايح....
وطبقا لنصائح النواعم والفتكات (والله مكسوف وأنا بأكتبها), وضعت البكرة علي c والحرارة ٩٠ وضغطت علي الزر الموضح في الصورة ، ودارت الغسالة .

وبينما العبد لله جالساً علي الكرسي في مواجهة باب الغسالة ، فرحاً بإنتصاره على نفس طريقة عزيز بك الأليت ، فقد كان صوت الغسالة عند إعلانه بدء سحب المياه , محفزاً الى أقصي درجة ...

ولم لا أحتفل , حتي لو كان النصر بمساعدة جروب حريمي ... أو الدخول في تحالف مع دولتي ... نواعم وفتكات... فالحرب خدعة ويجوز في الحرب إستخدام كل الأسلحة والتحالف مع الأشرار ... من أجل الهدف الأسمي وهو تحقيق النصر على تحالف قوي الشر بما فيهم تلك الكوفيرته الأوف وايت .

وفي لحظة تأمل أمام الباب الزجاجي للغسالة وجدت نفسي أبحث عن ما ورطت نفسي به من البداية؟؟

محدثاً نفسي ...ليه ماعملتش حسابك ليوم زي ده ... وانت بتشتري غسالة فول

اتوماتيك عشرومية بروجرام ؟ ... مالها غسالة امي - رحمة الله عليها ...تلك الغسالة ... المتواضعة الأصيلة ... الإيديال مصرية الصنع ...السهلة، البسيطة ... حتي لو كانت حاصلة على الابتدائية ... تلك الغسالة القنوعة التى يكفيها علبة (رابسو) او (سافو) لتقوم بغسيل عيلتين بلا طلبات إلا من شنوية زهرة , إذا لزم الأمر.

حبيبتى تلك الأصيلة البرميلية الشكل , ذات اللون غير المعروف , أو الذي كان أزرقاً فى يوم من الايام ... تلك الغسالة الجدعة... غسالة تحس إنها راجل في نفسها كده ... مش مايصة وكلها زراير وبكرات وساقطة إنجليزي ... فغسالة امي كان ليها حركات جدعنة ، حين كانت تمشي وحدها وتأتي إلينا فى الصالة لتخبرنا أنها انتهت من الغسيل ... ,عيبها الوحيد كان الخرطوم القديم ، والذي كانت تستخدمه الأمهات كأحد وسائل التهذيب والإصلاح لهذا العصر .

وأقتربت الغسالة من مرحلة الشطف بعد كثير من الوقت ... غسالة خليعة ...فهى تحرك الغسيل الى اليمين تارة وإلى اليسار تارة أخري , كرقص صافينار ... لم لا تحرك الغسيل فى إتجاه واحد ... أو تحركه بفن ... كما كانت تفعل فريدة فهمي فى فرقة رضا...

وعلى سبيل ذكر الفن ... تذكرت النقيب (عمرو علام) , صديقي ورفيق الخيمة أيّام حرب الخليج ...
فقد كنا نغلق الخيمة إستعداداً للغسيل , ويأتي كل منا بـ (الطشت) المخصص للغسيل والمنقوع فيه الملابس مع كثير من مسحوق (تايد) من يومين سابقين ...

ثم يدخل كل منا داخل الطشت بقدميه الحافيتين ونبدأ في المشي ثم الرقص داخل الطشت بالأقدام العارية وغالباً ما كانت أغنية **Twist again** هي الأنسب لغسيل الافرولات ، حتي تعلو الرغوة داخل الطشت معلنة ان الغسيل اصبح (قشطة) , ثم شطفة سريعة وننشر الهدوم علي حبال الخيمة .

ومع آخر نفس من السيجارة , اطلقت الدخان فى الهواء مبتسما ... متأملاً ...والله فكرة حلوة ، لم لا يصبح في كل بيت أكثر من (طشت) ويخصص يوم للأسرة للغسيل علي طريقة **Twist again** ... منه تجتمع الأسرة ... وتمارس الرياضة ... و سنوفر كهرباء ..ومساحيق ..ويحصل المصريون علي القوام الرشيق، تماشيا مع توجهات الدولة ... ولنسمي المبادرة (طشت لكل مواطن) .... ما علينا ، واضح أني إستنشقت جرعة مسحوق زيادة.

هنا وقد أعلنت الغسالة عن صوت جديد هو صوت خروج المياه فقد إنتقلت الي مرحلة العصر ولاحظت ان المياه التي تطردها الغسالة ملونة بعض الشئ ... ماعلينا ... تفاهات

وكالهمام أخرجت الغسيل وجمعته فى ذلك الطشت البلاستيكي ... ثم بادرت ووضعته بالمجفف ... وأدرت المجفف على درجة حرارة ١٢٠ أو ١٢٠دقيقة ... فهذا ما كتب فى جروب فتكات دون تفسير .. ونجحت التجربة ... ودار المجفف معلناً نجاح التجربة.

وبدأت في وضع باقي الملونات لأنهي جزء من هذا التل المتلتل بالغسيل كدوم تانى ....
لم لا تستوعب الغسالة كمية أكبر ... ألهذا السبب كانت زوجتي ترغب فى شراء الغسالة ذات العشرة كيلو جرامات ... وحينها أنهيت الحوار برغبتي في مشاهدة هدف للأهلي على شاشة محل بيع الأجهزة , فالفرق بينها وبين تلك الغسالة قارب على الخمسة آلاف جنيه , بما يعني أن كيلو الغسيل قد إقترب من ١٧٠٠ جنيه ..... هو أنا إتجننت؟
ما علينا ...ما أن إطمأننت إلي إستقرار الأمور في الغسالة والمجفف ،حتي قررت أن أتحف نفسي بفنجان قهوة احتفالاً بالنصر ، ثم أعود الي ميدان المعركة للاطمئنان علي سير الأمور ... ولن يكون هناك أفضل من أم كلثوم وفنجان القهوة لتجعل من إحتفال النصر يوماً مشهوداً .

وإذا بأم كلثوم تشدو (ياللي كان يشجيك أنيني) ...ليه كده يا ست ...حقيقة ... لم أستبشر بهذا الكوبليه وأكتفيت بسيجارة والقهوة والسكون ... إلا من صوت الغسالة والمجفف يشنقان صمت ليلة الأنتصار .

وحانت ساعة الحصاد وأصطحبت التليفون لكي اصور لزوجتي نتائج التحدي لأجعلها نادمة كل الندم علي عبارة (ربنا يستر) .

(٥)

ما أن أخرجت الملابس من المجفف حتي سقط تليفوني على الأرض من هول المفاجأة ..فقد كانت النتيجة غير مبشرة على الإطلاق....بل كانت مأساة بكل ما تعني الكلمة من معني ...فقد تحولت بعض الملابس الي مقاس **Small** بقدرة قادر

...بينما تحول البعض الآخر من الشكل المربع أو المستطيل الى شكل دائرى أو متوازي مستطيلات , يصعب على شيوخ المهندسين معرفة أبعاده.

أما عن التيشيرت العزيز علي قلبي والذي إشتريته ب ٢٠ دولار فى شكل تبرع لأسر المصابين لرجال الشرطة فى حادث تفجير برج التجارة بنيويورك , أثناء زيارتي لأمريكا فقد اصبح مقاس ٦ إكس لارج , فهو يكفيني انا والبنتين في خروجة جماعية .. أو كأنني أشتريت تي شيرت يكفي للتبرع لكل ضحايا البرجين مرة واحدة

الأدهي والأمر هو تيشرت السنيور الخاص ببنتي الصغري (تيشيرت يصنع خصيصا لطلبة السنة النهائية بالمدرسة) فقد تحول من اللون الرمادي الى لون لا يمكن وصفه , بل صار به العديد من البطش الملونة , ولعلها لعنة رجال الصاعقة عند الخطأ فى حق شعارهم المهيب .... ناهيك عن كل الفوط التى اصبحت متعددة الالوان ويصعب وصفها...
يا الله ... هناك خطأ ما ..
أرتديت نظارة القراءة لمراجعة جروب فتكات , فقد إتبعت التعليمات بدقة ... إلا أنني وجدت أن مفتاح الحرارة كان كما كتب فى جروب فتكات ... والحقيقة أن درجة الحرارة قد كتبت بالخطأ ...و عادت صاحبة المقال و إعتذرت و صححت المكتوب بعد ٩٠ سطر من التعليقات ..... بعد خراب مالطه ... يا فرحتي

تلك كانت نتيجة المجفف.... للجولة الاولى ...
داعيا الله أن يسترها مع العبد لله الغلبان فى الجولة الثانية ... متخلياً عن بدلة روميل وقوصة نابليون بونابرت ...طامعاً فى كرم الله ... أنه ما يكسفش عبده الغلبان , فالفضيحة ستكون مدوية ... فقد تكون زوجتي أهون وأحن من البت المفعوصة الصغيرة آخر العنقود ... التي لن تتورع عن نشر الفضائح على كل وسائل التواصل الإجتماعي .

ياللعار ...سترك يارب ... ظللت أرددها وأنا أرقب تلك النافذة المستديرة الموجودة فى صدر الغسالة , مستعينا بالسبع آيات المنجيات ... سترك يا رب .

لحظات الترقب القاتلة ...هو نفس الإحساس المرعب الذي مر به كل المصريين من جيل الستينات والسبعينات ... ونحن بإنتظار أن يذكر رقم جلوسك بالإذاعة عند الإعلان عن نتائج الثانوية العامة ....

فتتسارع دقات قلبك عند ذكر إسم المدرسة , حتي ينطق المذيع برقم جلوسك . إلا أنه وعلى مر السنين إعتاد مترقبي النتيجة على تلك العبارة الشؤم التى كانت تتردد كل عام ,, (مدرسة .... الثانوية ... لم ينجح أحد) , نعم لقد كانت تلك نتيجة تلك المدرسة ... والتى لا أعلم أين تقع ولا كم عدد دارسيها , بل كل ما يعرفه المصريون أنها مدرسة لم ينجح أحد ... ثم تلك القفزات الهائلة بين أرقام الجلوس ... ليرسب بالعشرون طالبا دفعة واحدة ... وكان التحليل المنطقى دائماً ... أن تلك لجنة بها طالب فاشل غشت منه اللجنة كلها ورسب الجميع .

وظهرت نتيجة (الفوم الثاني) في الغسالة .... تلك الجولة التى كانت تحوي بين طياتها تلك الكوفيرتة المتآمرة اللعينة .
رحماك....فقد خرجت الكوفيرته اللعينة في لون (خرالامبو) يتفوق ١٠٠٠ مرة علي لوحات فاروق حسني بتاعة الفن التجعيدي... وأحمد الله انه لم تسنح لى الظروف بإستخدام الزهرة السائلة (سر الاسرار) , مرددا فى نفسي ... كفي المؤمنين شر القتال.

جلست ولمدة نصف ساعة تقريباً , محدقاً فى هرم الأشلاء الذي خرج من المجفف , إضافة الى الهرم الثاني الذي خرج من الغسالة ولم أجرو على تجفيفه ....
ما العمل ...فالفضيحة مدوية ... لعنة الله على بونابرت و روميل ومن قبلهم كل النواعم والفتكات وصولاً الى كل صانعي المساحيق والغسالات ... ولعنة الله على لحظات العنترية والتشبث بالرأي ...

(٦)

لازلت محدقا فى أهرام العنترية اللعينة ....
لابد من الخروج من هذا الفخ ...
أين أخفى الجثث والضحايا وأشلاء الحرب ....
وما العمل إذا تم إكتشاف أنها أختفت ...

حاولت قدر الإمكان إخفاء اثار الجريمة ...فقمت أولاً بجمع الاشلاء والجثث من الجولة الاولى ... وكذلك المصابين وضحايا حرب الجولة الثانية ... من تيشيرتات وقمصان وبيجامات وملايات وعلى رأسهم تلك الكوفيرتة اللعينة داخل أكياس سوداء ...

بينما أبقيت على تيشيرت إبنتي الصغري فى محاولة قد تفلح ... بعرض التيشيرت على أخصائي امراض جلدية فى المغسلة القابعة بنهاية شارعنا , والشفاء من عند الله ... ثم أتتني الإجابة من إستشاري المغسلة ... حين فتحت الباب ... لأجده متأثراً ناظراً للارض وهو يشد على يدي ... ويسلمني التيشرت قائلاً : البقية فى حياتك ... إحنا عملنا اللى علينا .... لكن أمر الله نفذ...

ثم أخفيت كل الجثث في أكياس سوداء و تسللت الى الشارع بعيداً عن أعين رمضان البواب فقد يكون هو و زوجته ضمن فريق المؤامرة الكبري .

إنطلقت بالسيارة ومعي الجثث ملقاة فى شنطة السيارة , هائماً على وجهي بلا أي هدف ...
إلي أن وجدت سيدة بسيطة تفترش الارض وتبيع الخضروات على ناصية أحد الشوارع , فأعطيتها الكيس مبتسماً ...فإذا بها تسأل ...
ايه ده يا إبني ؟
فكان ردي : شوية هدوم , وكوفيرته للسقعة ... يمكن تنفعك ....
روح ربنا يسعدك ... كان رد السيدة العجوز بينما انطلقت مسرعاً الى سيارتي قبل أن تفتح الكيس ... ولا أعلم هل إستمرت السيدة الطيبة فى الدعاء , أم تراجعت مطلقة العديد من الأدعية السلبية حين تفحصت محتويات الكيس الاسود المشبوه .

أما عن تلك الكوفيرتة اللعينة الشريرة ... فقد إضطررت إلى قيادة سيارتي لمشوار حلو من مصر الجديدة الي المعادي لشراء كوفيرته من نفس اللون والنوع من نفس المحل (منسوجات العامرية) ثم العودة الى المنزل لنقعها كي تبدوا كالمستعملة .

وبذكر عملية الإخفاء والتمويه, فقد مارستها وبكل خباثة ...وتقمصت شخصية عبده الدفاس فى فيلم العار ...
فطويت ملابس ابنتي الوسطي التي أنخفض مقاسها الى النصف تقريبا ... ودفستها في دولاب أختها الصغري .... فكرة برضه... وقعتهم فى بعض (ضحكات شريرة متقطعة) ..
وأخفيت ملابس زوجتي المدمرة .. ضمن الملابس الزيادة المخزنة ... فى أحد الشنط فوق الدولاب (من أعمالكم سلط عليكم) ... خللى المؤامرة تنفعها .
أما عن ملابسي فقد إستعوضت الله فيها ولم أعد أتفاخر بأنني ساعدت الامريكان بالتبرع لضحايا نكبتهم... فلقد أختفى الدليل ولم يعد صالحا.
وبما أن كل محاولات الإستشاريين والأخصائيين فى كافة مجالات الغسيل والتنظيف

والتنتريليه فى إزالة بقع التيشيرت الخاص بإبنتي الصغري (تيشيرت السينيور) , قد باءت بالفشل ... فقررت أن أذهب للمدرسة على أمل فى بديل, ولم لا .... فالحرب خدعة.. ولستر ربنا ... أن المدرسة المسئولة وافقت على منحي تيشيرت لابنتي الصغيرة , بعد رفض تام فى البداية , ولكن تراجعت عن موقفها بعد أن حكيت لها مأساتي ...

ولن أنسي تلك الضحكات الشريرة التى سمعتها فى غرفة المدرسات ؟؟؟ حين ذهبت المدرسة الخبيثة لتحضر هذا التيشيرت .... بل وتلك الابتسامة الخبيثة وهي تسلمني التيشيرت بلا مقابل ... نظراً (لحالتى اللى تصعب على الكافر) .... كلهن متآمرات .

مرت العملية بسلام ..ولم اجد أي لوم من زوجتي ...حتي حينما رأت الكوفيرته الخبيثة اللعينة .. شريكتها فى المؤامرة ...إلا من تلك الأونعة الصغيرة , التى نادتني هامسة فى أذني ...
الأونعة : بابا .... عايزة أقولك حاجة...
أنا : إيه ... قولى يا رويتر
الأونعة : (إذا بليتم فإستخروا) ..... نعم قالتها كما قرؤتموها فإستخروا..
ده اخرة تعليم ... مدارس اللغات
أنا : إسمها إذا بليتم فأستتروا يا تحفة
الأونعة :.... مش مهم ...
أنا : أمال أيه المهم ....
الأونعة : أولا ... ميس مروي قالتلى على كل حاجة ... أصلها صاحبتي... وحكيتلي على التيشيرت اللى جبته من المدرسة ..
ثانيا : ميرسي على التيشيرت ... لأن التيشيرت القديم كان فيه بقعة حبر وانا ما بلبسوش.
ثالثا : هات ٢٠٠ جنيه وإلا حأقول لماما ...دفعت ... ولازلت ضحية هذا الإبتزاز الحقير حتي تاريخ طبع هذا الكتاب ..

حقيقة لم يكن خطأي...أنا لست فاشلاً .... أكررها ... انا لست فاشلاً...
بل هي المؤامرة من هذا التنظيم السري المكون من ساقط الإعدادية الذي رتب حروف بكرة الغسالة ... ومن تلك السيدة التي أفردت لنفسها مقالة في موسوعة نواعم عن طريقة تشغيل الغسالة ... بدون طريقة وصف ما الذي يوضع فوق الفوط الملونة والذي اعتقد تماماً انهم جزء من المؤامرة ..

أنا ضحية تلك السيدة التى أفردت مقالاً بدون أن تلبس نظارة القراءة , فكتبت ٩٠ بدلا من ٤٠ وثم عادت وصححت ما كتبت فى جروب فتكات بعد يومين وهي مسافة تكفي لخراب مالطة ...

أنا ضحية مؤامرة من زوجتي ورفقائها من صناع الغسالات حتي رمضان البواب مرورا بميس مروي الخبيثة الفتانة ...
حضرات السادة الرجال ... نحن نتعرض لمؤامرة كبري ... يشارك فيها كل أصحاب المصلحة فى التقليل من قيمة الرجل .. تدربوا على الغسيل ... ولا تشتروا غسالات معقدة ... والافضل ألا تأخذكم العزة بالإثم وتتطوعوا كالعبد لله..... فتكونوا على ما فعلتم نادمين .

وأحمد الله أنها كانت آخر ايّام الشتاء الماضي ولَم يلحظ أحد تلك الجريمة ، ولكن ستنكشف تلك الجريمة النكراء مع دخول الشتاء القادم أو عند قراءتهم لهذا الكتاب (ربنا يستر).

أستروا عليا يستر عليكم ربنا .....
قبلوا رؤوس زوجاتكم كلما أرتديتم ملابساً نظيفة مفحفحة او تلحفتم بكوفرته (أوف ـ وايت) .

ـ تمت ـ

شبشب الست

في واحدة من أندر فترات الهدوء و السكينة فى منزلنا العامر ... أعلن المنيع في إذاعة الأغاني أن الأغنية القادمة ... ستكون أحد روائع ست الكل وأجمل ما لحن بليغ حمدي .... إنها ألف ليلة وليلة ...

ولعشاق أم كلثوم ومنهم للعبد لله هواية قديمة من موروث عائلي .... وهي الإستماع الى الأغنية من بداياتها
والبدايات عند عشاق أم كلثوم تبدأ من جمال وروعة تقديم الحفل , من صوت الكروان , جلال معوض ....

نعم ... فتقديم الإعلامى والإذاعى الراحل جلال معوض لأم كلثوم جزء لا يتجزأ من الحفل ... «يبدأ الغناء قبل أن أغنى» هكذا قالت عنه أم كلثوم.

وعلى ذكر مذيعي الحفلات والرواية عن الوالد - رحمه الله - فقد تناوب فى تقديم حفلات أم كلثوم عمالقة المذيعين... فقد خلف المبدع جلال معوض الاستاذ العظيم فهمي عمر ... أو - المذيع الصعيدى - كما كانت تسميه ست الكل ثم من بعده الرائع أحمد فراج ثم مسك الختام صالح مهران ذو الصوت الأجش .

ما أن بدأ جلال معوض فى الحديث ... إلا وقد بدأ العبد الله يستحضر واحدة من لحظات الروقان في العهد الماضي بكل تفاصيلها ... فهناك علاقة سرمدية بين ام كلثوم والقهوة علي السبرتاية ... وهي عادة فيها جزء من الوراثة بما فيها من الطقوس العائلية القديمة ...

فتحضير القهوة يبدأ مع مقدم الحفل ... وتستغرق التسوية فترة المقدمة الموسيقية ... وغالباً ما أحرص على أن يحدث التوافق الزمني بين نهاية تسوية القهوة وبداية تصفيق الجمهور إعلاناً بوقوف ست الكل... لتبدأ الأغنية فيصبح الفنجان جاهزاً مع السيجارة... لأول رشفة مع نهاية الكوبليه الأول لتخرج كلمة (الله) ... ممزوجة بمتعة القهوة وروعة الكلام .

وقد كان .. وبدأت في الطقوس مستغلاً حالة السكون المؤقت في بيتنا العامر ...فها هي كنكتي العزيزة وعشرة العمر ...قليل من السكر على طرف الملعقة , فأنا أفضلها ع الريحة ... وملعقة متوصية من البن المحوج بجوزة الطيب

والحبهان والمستكة ... ثم الماء البارد...
ونقلب بروقان ....تقليبة حنينة ... بعبق طمأنينة...
كما لو كنت تتحسس البن المطحون بين أصابع يدك ...
حتي يظل البن فى سكينة ويسري الماء البارد بين جنباته وشرايينه ليحتضنه بهدوء ... مدغدغاً ..مداعباً ... بما لا يخدش حياء القهوة ...
فالقهوة خجولة ... تحب الدلال ... ويؤرقها العجلة ... ويتلف مزاجها صوت الملعقة فى التقليب ... حرك الماء بحنين ... كما توقظ خمرية ناعمة ... لتري الشمس عيونها البنية الداكنة ...

يقيني بأن القهوة يجب أن تحضر على مهل...
وتشرب على مهل...
وتستنشق ولا تشم ...
ولا تشرب باردة أو ملتهبة ...
حضرها بنفسك فى سكون وهدوء , فالقهوة أخت الصمت , ويجرحها الكلام ...
ولا تطلب القهوة جاهزة .... فحامل القهوة هو حامل الكلام.

وحان الوقت لتستقيم تلك الكنكة النحاسية ذات اليد الخشبية المحروقة فوق لهب السبرتاية العتيقة المجنزرة - عشرة العمر وصديقة الإلهام ولحظات الصفو ...

إحساس جميل وأنت تراقب القهوة ... كإنتظار المحب الملهوف فى أول لقاء...
وترقب على مهل لهب السبرتاية يدغدغ مشاعر القهوة لتنطلق منها ضحكات هادئة تشكل فقاعات على وجه القهوة لتصنع طبقة أكثر سماكة وتماسكاً من العشق ودلع الهوانم...
ودائماً ما نخطئ فى حقها ونطلق عليها (ونش) ...صعبة كلمة (ونش)... لم لا نسميها وجه القمر ... ولكي لا أجرح أحباب القهوة كنت اسميها - قهوة بونش القمر ...
تمعنوا فى وجه القهوة ... ووجه القمر... إذا تم صنع القهوة بروية وهدوء ... لن تجدوا فوارق كبيرة ... بين وجه القوة ووجه القمر .. بل ستجدون من الشبه ما يجعلنا نخجل حين نطلق على القهوة (قهوة بونش).

ما علينا ...
دخل فنجان القهوة الى مرحلة التسوية... واصبح جلياً وجه القمر ...وحان وقت قطافها ....

بهدوء .... أفرغت محتوي الكنكة في فنجاني العزيز العشري .. صديق لحظات الصمت القليلة في بيتنا العامر .. ذلك الفنجان ذو الطبق المشطوف ... والذي حاولت زوجتي إستبداله أكثر من مرة ولكن كنت أعود إليه بحكم العشرة.

لَم يكن الحظ حليفي في التوافق الزمني لضبط أول رشفة من فنجان القهوة مع مطلع الأغنية... أو بداية الكوبليه الأول ... نظراً لاستعراض عمنا بليغ حمدي قدراته الموسيقية في مقدمة طويلة ... بما فيها دلع الأسمر الجميل عمنا سمير سرور عازف الساكسفون ... فكانت الرشفة الاولى مبكرة عن المطلع الاول للأغنية خوفاً من أن تبرد القهوة - ماشي يا عم بليغ ...

وشدت ام كلثوم.. يا حبيبي ..
تلك ال (ياحبيبي) التي قال عنها الدكتور مصطفى الفقي .... أحلي (يا حبيبي)
نطقت بها نساء هذا الكوكب ...
وأسهبت الست ... الليل وسماه ...
ونجومه وقمره ...
قمره وسهره ...
وإنت وأنا ...
وبينما وصلت لحظات التجلي للعبد لله الي زرتها ، في تلك اللحظات من المزج الجميل مابين أم كلثوم وسيجارة وفنجان القهوة ...

إذا بالمفعوصة الصغيرة مارةً من أمامي قائلة : (إيه الأغاني المتربة اللي بتسمعوها دي ؟) ...
لم أتمالك نفسي ...فما كان مني وبحركة لا إرادية .... إلا أن وجدت الشبشب قد إنتقل من رجلي وأصبح في يدي بعد أن قام بعمل لفتين ونص في الهواء وأطلقته مطبقاً قاعدة التنشين ليستقر في ظهرها صارخة (أي) ..

أشبعت تلك ال (أي) رغبتي في الانتقام ، فأبتسمت ...
وعدت لأستمع لست الكل لأجد الجمهور قد صفق لأم كلثوم لتعيد الكوبليه مرة اخري فكنت محظوظاً لإستعادة لحظة التجلي من بدايتها .

فكرت في فنجان آخر من القهوة ,فقد اخرجتني تلك المفعوصة من حالة السلطنة والتجلي ... ولكن ظلت إبتسامة النصر بعد تلك ال (أي) كافيه كجرعة كافايين مزدوجة .

وفى خلال محاولتي للعودة إلي لحظة التجلي محاولاً التخلي عن إبتسامة النصر نتيجة إصابة الهدف بالنيران المنشنة من الوضع قاعداً علي الكنبة ...فإذا بي أستمر في الضحك ... فرحاً بنجاحي في محاولة تحريك الشبشب من رجلي إلي يدي والضرب به في أقل من ثانية ...

تلك الحركة التي إعتبرتها واحدة من إنجازات امي رحمة الله عليها والتي إعتقدت أنها تستحق التسجيل في موسوعة جينز ...ولكن تراجعت عن الرغبة فى التسجيل في موسوعة جينز حينما أدركت انه إرث مصري أصيل في كل أمهات مصر...

نعم لقد فعلتها وحطمت الرقم ... وتركت أم كلثوم تتشدوا لأجد نفسي سارحاً غارقاً في تلك الذكري الغريبة ... ذكري الرماية بالشباشب .
فعلي أيامنا قسمت الشباشب إلي نوعين (زنوبة وخدوجة) ... ولَم أكن اعلم سبب التسمية ولكن كان الشبشب (أبو صباع) يطلق عليه زنوبة ... والشبشب العادي يطلق عليه خدوجة...

وأغلب الظن انها تسميه صاحب المصنع على أسماء دلع بناته في ذلك الوقت ... وربما قد يكون لهذا الإسم جذور فرعونية فيكون (زا ـ نو ـ با) هو إله التعذيب عند الفراعنة ... نعم ... إنه الشبشب متعدد الإستخدام ...أحد أسرع وسائل العقاب فى العصر الحديث ...

أداة التهذيب والإصلاح الأسرع والأكثر إستخداما عند مختلف الطبقات... حتى لو تغيرمسماه إلى أسماء الدلع (سابو) أو (كروكس) ...
والجدير بالذكر أن هذا الإستخدام بات مقصوراً على الأمهات فقط .... فلم يذكر فى كتب التاريخ أو على نقوش المعابد ... منذ العصر الفرعوني حتي عصرنا الحالى ... أن هناك رجلاً إستخدم الشبشب من قبل ...

وكانت عبارة حا (أنسل) الشبشب على دماغك , أو حا (ألسن) الشبشب على دماغك ... هي الأشهر على الإطلاق ... فحينها تنسى الأمهات كل أسماء الدلع (سابو) أو (كروكس) ... فهو لا يسمي إلا شبشب عند إستخدامه فى العقاب الأمهاتي

وهي عبارة إستهلالية تعني أن العلقة ستكون مريرة ... فلم يكن معروفا ... هل هي (أنسل) من أصل نسائر و مفردها نسيرة ... بمعني تحويل الشبشب الى نسائر أو إلى قطع طولية ... أم (ألسن) أي تحويله إلى السنة من كثرة الضرب ...

وأغلب الظن أن (أنسل) هي الأكثر شيوعاً وإستخداماً .... آه من قاموس المعاني الشبشبية... للأمهات المصرية ... المفتريه .

حتي حادثة شجرة الدر ... فقد كانت بالقباقيب وهي النسخة الخشبية من الشبشب قبل ظهور الفلين والبلاستيك فى مصر , إذ نحمد الله على التطور فى صناعة الشباشب على أيامنا ... فبالتأكيد سيكون اقل ألما من القبقاب .

ووسط حالة السرحان فى أساليب تعذيب الامهات لأطفالهن على مر العصور وجدت نفسي ودون قصد أسترجع كافة أساليب العقاب في أيامنا ، وقت العصر البائن ، عصر الظلم والاستبداد ... فقد كان الشبشب كوسيلة للضرب عن بعد أو للضرب المباشر هو أحد وسائل التعذيب المخففة أو وسيلة العقاب علي ما يكون في حكم الجنحة وليس الجناية .

فعقاب الجنايات كانت له وسائل وأدوات عده ،وكان علي رأس تلك الأدوات المرعبة ، الحزام و خرطوم الغسالة ....

أما عن الأحزمة .... فقد كان من سوء الطالع أن أحزمة والدى تقسم الى ثلاثة أنواع ...

الاول هو الحزام الرفيع ويختص بأعمال اللسوعة ... مع ترك أثار تعذيب مثل علامات الكرباج فى عصر صلاح نصر ...

النوع الثاني هو من الجلد الطبيعى العريض السميك ... ولستر ربنا لم يستخدم بناء على تحذير من أبي ... لأن الحزام غالي .... فقط لأنه غالى ... وليس لأنه مؤلم

النوع الثالث وهو مخصص لعقاب حالات الجرم الفظيع وهو (القايش) ... وهو من الكتان العريض ... والذي نسيه محمد إبن عمي المجند حين زار بيتنا في إحدى إجازاته, وأستولت عليه أمي لتكمل المجموعة .

أما عن خرطوم الغسالة القديم , فهو أحد وسائل التعذيب التى تحصل عليها الامهات كأحد هدايا السبوع حينما يعلم الاهل أنها أنجبت صبياناً .. وكان لدي أمي أربعة معذبون من الصبيان يكبرهم العبد لله ...

فمن الطبيعي أن يتم التخلص من الخرطوم القديم للغسالة , إلا عند الأمهات في مصر ، فما ان تمسك الأم بالخرطوم القديم حتي تظهر عليها حالة من السعادة والتحول الى الزومبي ...فتحمر عيناها ... وترتعش شفتاها ...وتتحول للون الأخضر

فتبدأ بالتلويح بالخرطوم القديم في الهواء ليصدر ذلك الصوت المرعب والذي يعتبر أحد أسباب التبول اللاإرادي عند جيل الستينات والسبعينات .

وكان هذا الصوت عندى وأخوتي يرمز له بالرمز (زيو)...

وأعتقد أن كلمة (زيو) الشهيرة كانت ترجمة لهذا الصوت والذي قيل انه الإله (زيو وو) إله الخراطيم عند الفراعنة.

والغريب أن ضربات الخرطوم كانت تركز علي منطقة واحدة (ستحنفها الرقابة) .. فبعد لسعة واحدة من الخرطوم طيب الذكر... ستجد صعوبة في الجلوس بشكل معتدل لمدة اسبوع علي الأقل ... نادماً علي الجرم الذي ارتكبته مع كل (آه) عند محاولة الجلوس ناسياً اللسعة الأبدية .

وللحظات عشت في محاولات إجترار الذكريات متذكراً صوت الخرطوم الذي يشق سكون الليل و لاحت في الأفق كافة أساليب التقويم والتهذيب والإصلاح من الحزام إلىّ التعذيب الجسدي..ولا اعلم لماذا تذكرت تلك الوسيلة السادية العنيفة ... وهل إنقرضت أم لازالت تمارسها الامهات فى الخفاء ..

نأتي الى طريقة التعذيب الثالثة والصعب ...إنه العذاب بقرص اللبليب ...وهي وسيلة قد يحاسب علي سرد تفاصيلها القانون ... ولكن لنسردها فى تحفظ ...

فحين تصل الأمهات إلى مرحلة ما بعد الزومبي ... وتكتشف أنك أقتربت فى حضنها أكثر من اللازم فى محاولات لأتقاء لسعات الخرطوم أو الحزام , طبقا للجرم الذي إرتكبته ... وأصبحت كل وسائل الضرب عن بعد غير مجدية نظرا لقرب المسافة ... فتأتي لحظة الانقضاض .

فتجد الام قد انقضت كالفهد القرمزي ممسكة بتلابيب القطعتين الطريتين من أعلى داخل الفخذين باصابعها لتمنحك فرصة طويلة شويتين ... يتناسب زمنها طردياً مع مقدار ما ستصدره من صراخ..

وعادة ما تسبب قرصة اللباليب ألما فوريا قد يدفعك للاعتراف بأنك من قتلت جورج كيندى و السادات فى آن واحد... حتي لو كنت لم تسمع عنهما من قبل ... فتحصل أمك على إعتراف تفصيلي , وغالبا ما كان أخي الاصغر هو من يشني بنا جميعا قبل إقتراب أمي من لباليبه .

ويتبع قرصة اللباليب ألآم مبرحة مصحوبة بطريقة عجيبة فى المشي كانت تسمي مشية (الفرشيحة) لمدة ساعتين على الأقل , حتي تعود للمشي كخلق الله العاديين

وقرص اللباليب كان عيباً بالنسبة للصبيه , فهي وسيلة عقاب بناتي طبقا لدستور العائلة ... فلازلت أتذكر أخي الأوسط وهو يرفع صوته فى وجه أمي , (بلاش قرص البالبب بتاع البنات ده ... الشبشب أحسن) ... فكان نصيبه وابل من المدفعية بكل أنواع الشباشب المحيطة بست الحبايب .

وعادة ما تؤتي قرصة اللباليب ثمارها ... فتمتنع عما فعلته ولن تعود لتكراره , كالرد بطريقة غير لائقة أو الأكل من الحلة مباشرة ... أو سرقة أصابع كفته الأرز المقلية قبل أن توضع فى الصلصة .

وأعتقد أن سرقة كفتة الارز بعد التحمير ... جعلت كل المصريين لصوصا منذ نعومة أظافرهم ...فلا يوجد مصري أو مصرية يجرؤ على أن يقسم أنه لم يكن لصاً فى يوم من الأيام من الأيام لكفتة الأرز المحمرة... حتي شيوخ القضاء ... و كل اصحاب الشرف والفضيلة .. فعند أعتاب كفتة الأرز ... فلا أستثني أحداً .. بل يسقط كل أصحاب الفضيلة .. لتطلخ جريمة سرقة كفتة الأرز صفحاتهم البيضاء .

فتلك الكفتة المفسدة للأخلاق ... جعلت من المصريين لصوصاً منذ نعومة أظافرهم ... وأعتقد بل وأجزم أن الأمهات تعلم تماما أن إغراق الكفتة داخل الصلصة لا يفيد ...وأنه من الأفضل أن تؤكل الكفتة محمرة كما هي ... ولكن إختراع الصلصة لم يكن إلا خطة مدبرة... أبدعتها الامهات ... لوشم كل الأبناء بالسرقة , وليصبح أبناءهم... لصوصا .. سارقى كفتة .... يعاقبون بالقرص من اللباليب ..

ونعود للباليب ... بحثا عن أصل التسمية ...ففيما يذكر فى الأثر ... أنها التلابيب والتى تم تحريفها على يد الأمهات الى اللباليب ... كما لو أرادوا أن تكون لهم لغتهم ومرادفاتهم الخاصة ... التى سيخلدها التاريخ من بعدهم فى أساليب

التعذيب فى العصر الحديث وتخليدا لذكري الشبشب على مر العصور .

وتركت عذابات العهد البائن لأعود لام كلثوم فقد تجلت ...
يا قمر ليلي يا ظل نهاري ... ياحبي يا أيامي الهنية .....

الله يا ست... حتي لو كنتي حرامية صوابع كفته... كما حال كل المصريين .

- تمت -

معركة ذات الصوانى

قد يتخيل القارئ من الوهلة الأولي أني سأكتب عن معركة (ذات الصواري) ... تلك المعركة البحرية التي وقعت بين المسلمين والروم البيزنطيين ... وأنتهت بنصر المسلمين.
لكنني في حقيقة الأمر سأكتب عن معركة (صواني الكحك) أو (صاج الكحك) ذلك الصاج الأسود الكالح ذوالملكية الخاصة لعم مهران صاحب الفرن القريب من بيت جدتي ... وأول من أبدع نظم الإيجار بحق الإنتفاع لصيجان الكحك.

الحكاية من البداية .... فلم يتبقي على عيد الفطر إلا أيام معدودة وكعادة كل المصريين ذهبت لشراء كحك العيد من أحد المحال الشهيرة ... التى تضع الكحك فى تلك العلبة الأنيقة من الصاج الشيك , المربوطة بذلك الشريط الستان البراق. بغض النظرعن المحتوي ...

فأولادي يحبون كحك هذا المحل لأنه يصنع الكحك بالسمن البلدى ... وقد أعتدت كل عام أن اكتفى بقطعة من البسكويت على سبيل التذوق فى صبح يوم العيد , فلم يعد يستهوني هذا الكحك البلاستيك , فالكحك عندي هو كحك جدتى .

فما أن انتهيت من شراء علبة الكحك الشيك .. ووضعت العلبة المغلفة الشيك بجانبي في السيارة ، إلا وساقني الحنين الى كحك جدتي ...مستعيدا كل تفاصيل موقعة الكحك التي تحدث كل عام .

ولا أعلم لماذا أبتسم .. بعدما قرأت عن ظهور الكحك فى مصر ... وكلما تخيلت كما لو كانت هناك ندية ما بين جدتى الكبري وصلاح الدين الايوبى ... الذى دائب طيلة فترة حكمه علي تخليص المصريين من عادات الفاطميين... وعلى رأسها كحك العيد ..

لم يستجب المصريين , صار يصنعون الكحك سراً ...فلقد حارب المصريين علي الإبقاء علي عادة صناعة الكحك وعلي رأسهم زعيمة التمرد جدتي الكبري من العصر المملوكي .
ويقال أن للموضوع جذور فرعونية ... فنقوش الكحك لجدتي (سي ـ تو) من الأسرة الثامنة ، قد شوهدت علي مقابر الإله (خا ـ مي ـ ره) إله العجين عند الفراعنة.

(٢)

دقت طبول الحرب فى بيت جدتى ....

فما أن يقترب الأسبوع الأخير من رمضان ، إلا و تدب في بيت (ستي) حالة من النشاط الزائد ...
فيهل علي البيت العامر جحافل الوافدين من بنات الأسرة والجيران وترفع كل الكراسي والكنب من الصالة ليحل محلها أشكال ومقاسات مختلفة من الطبالي ...

وتشمر الجلاليب عن السواعد وتبدأ بنات العائلة وسيداتها فى ربط مناديل الرأس كما محاربي الكيماكازي اليابانين عند التحضير لموقعة بيرل هاربر ... إستعدادا لموقعة كحك العيد...

ويعتبر وصول صبي الفرن حاملاً شوال الدقيق هو بداية التحضير للمعركة... بينما سيكدح العبد لله في الهجاء لكتابة كشف الطلبات ... قبل التوجه بصحبة خالتي الصغري إلي (محمد الدقاق) ، أوهكذا كانوا يسمى (العطار) في قاموس جدتي ...

كنت فيما بين السابعة أوالثامنة من عمري ... غلاما صغيرا يكاد يفك الخط ...ولكن كانت جدتي تعتبرني من المثقفين المتعلمين ... القادر على الكتابة بسرعة

لم تكن تلك الثقة المفرطة إلا أحد أساليب الدلع لتميزنى ...عن الموجودين ... فقد كنت أكبر أخوتي ولم تكن خالاتي قد أنجبن صبيانا بعد ... فصرت ديك البرابرالمثقف ... عند جدتي... بينما تجلس بنات خالاتي الأكبر مني سناً صامتين ... وخاصة عند صعوبة الهجاء لطلاسم مستلزمات الكحك ... فهم يعلمون بطش جدتي عند الاقتراب من ديك البرابر .

ورقة وقلم ...
وتبدأ جدتي فى إملاء كشف طلبات التحضير للكحك والبسكويت والغريبة ... والتى سترسل مع مندوبها السامي (العبد لله) برفقة خالتى الى محمد الدقاق ..

تحوي قائمة المشتريات التي تمليها جدتي علي العبد لله ...علي كلمات بها طلاسم العطارة ...خد عندك :
ستي : إكتب ... روح الكحك

أنا : يعني ايه يا ستو ؟
ستي : أكتب وأنت ساكت
أنا : إزاي أكتب وأنا ساكت...أنتو طلعتوا روح الكحك أمتي...وبعدين اللى بتطلع روحه بيروح عند ربنا ...طيب ما بدل ما نجيب روح الكحك ... نجيب روح جدو

تقاطعني .... ها ... كتبت؟ ... أرد : كتبت يا ستو ...
ستي :أكتب... بانيليا....
أنا : صعبة دي... (عرفت فيما بعد أنها الفانيليا) ...
ستي : كتبت؟...
بعد عناء ...
أنا :كتبت...
ستي :بيكيمباودر ....
أنا : ياليلة طين ؟...صعبة أوي يا ستو ....
ستي : إكتبها إنت راجل وسنة تالتة ....مافيش حاجة اسمها صعبة

وغمزتني خالتى الصغري قائلة : أكتب ما تخافش أنا جاية معاك..وكتبتها زي ما تيجي والتى عرفت فيما بعد أنها (بيكينج باودر)...لتهبط جدتي فوق رأسي بأصعب الكلمات .... محذرة خالتى ...قولي له عايزة سكر سنطرافيش .... ها... كتبت ؟
رددت .. أكتب؟ ...
أنا :أكتب أيه ؟
ستي : إكتب سكر... صنترافيش ... وخالتو حتكمل ... ماشي ....
أوعي يضحك عليكي ... موجهة الكلام لخالتى ...
ها ... كتبت ... كل حاجة؟
وهذه المرة كان الكلام موجهاً للعبد لله ... المثقف ... الحاصل على ماجيستير الصف الثالث الابتدائى فى اللغة العربية تخصص فك طلاسم الكحك ...

ستي : مش مهم ... إكتب سكر بس ... وخالتك حتقوله ... إستطردت ستى...

وخلال واجب الإملاء ...لاحظت ستى ... أن إحدى بنات العيلة تظهر على وجهها شبح إبتسامة,وبدأت فى الودودة مع بنت خالتى .. إلا أن تلك البنت أختفت من على جهها كل الملامح ...بعد قالت جدتي ... (ها) ... وما أدراكم ما تلك ال (ها) ....من الحاكم بأمره (ستو التاسع عشر) .

وتستمر جدتي في إملائي بتلك الكلمات الهيروغليفية حتي ينتهي الكشف ... ولطالما أعتقدت أن مايحويه هذا الكشف ... هو شفرة سرية بين ستي ومحمد الدقاق ...فهي مطالب يصعب نطقها... فما بالك بكتابتها .... بينما كانت النية مبيتة ...بين أمي وجدتي لتدريبي علي الكتابة....

كان مشوار محمد الدقاق من المشاوير المحببة إلى قلبى...فقد كان عم محمد كريماً ... ويغدق على بالهدايا وعلي رأسها ... هذا القرطاس الصغير من سكر النبات ... وقطعة العجوة السمينة ... لأجل عيون جدتي ..

أعود وخالتي الصغري محملين بالطلبات , بينما يصعد صلاح قرينا من البلد حاملاً (الماجور) ، وهو ذلك الطبق الفخاري الكبير ، العميق كما البئر...

لقد كان هذا الماجور ثقيلاً وقد كان صلاح والذي أعتبره (هرقل) ... يحمل هذا الجبل من غرفة الكرار بالدور الارضي إلى الدور الثاني حيث توجد جدتى .

ويصل صلاح حاملاً الماجور ضمن تشريفة وحراسة سيدات البيت حتي يستقر الماجور بجوار شوال الدقيق.

(٣)

المعجنة ...
كما كان يسميها خالى وهو يغادر المنزل مبتعداً .... فمن غير اللائق أن يتواجد الرجال داخل المنزل يوم الكحك , لتظل السيدات على راحتهم ... بينما يبقي العبد لله على إعتبار انني لم اصل إلا مرحلة الرجولة بعد ... إلا عند جدتي التى تمنحني الإستثناء .

وبوقوف ستى معلنة بدء المعجنة ... تبدأ مرحلة العجن اليدوي داخل الماجور العظيم بصب الدقيق فوق المنخل أو الغربال ... والذي يبدأ مع تحريكة حالة من الغناء والأهازيج ... كلما هزت جدتي الغربال لنخل الدقيق .

كانت جدتي تفتتح عملية غربلة الدقيق ... واقفة .. وغالبا ما كانت تهتز مرة أو مرتان على نغمات الأغاني التي تغنيها بنات الاسرة ومنهم أمي .. ودائما ماكانت

تلاقى هذه الهزات البسيطة ترحاباً وتصفيقاً بل وزغاريد فى بعض الاحيان تشجيعاً لجدتى ... الجادة دائما ... إلا من بعض المرح ...

فستى حازمة... تعرف متي يبدأ وينتهي الضحك... فقد كانت تدرك أن هذا اليوم هو اليوم الحقيقي للعيد ... لتسعد البنات والأحفاد ... و يتبع هزات الغربال الموسيقي الراقص , نزول الماء فوق العجين ...وتبدأ المعجنة على رأي خالى ...ثم تحين اللحظة الحاسمة التى ينتظرها الصغار ... مرحلة صب السمن ...

فيبتعد الجميع عن الطريق ... لتأتي أمي كأحد أشد البنات عوداً , حاملة وعاء السمن السايح , بعد أن هدأت سخونتة طبقا لمعايير جدتى .

تقف أمي حاملة هذا الوعاء الثقيل منتظرة تعليمات (الجنرال – ستو) ...فعند جدتي لا يمكن صب السمن إلا بمعيار ...ويجب ان يصاحب صب السمن تلك المقولة التى ترددها جدتي ويرددها كل البنات والسيدات من خلفها كلما صبت مقدارا من السمن ..

وتبدأ جدتي فى صب بحور من السمن البلدي السايح وبينما تردد البنات من خلفها ...»ياسمنتي ،،، يامنعَمة كحكتي « ... « ياسمنتي ،،، يامنعَمة كحكتي « ...فلدى جدتي قناعة أن هذا النشيد هو أساس نعومة الكحك والذي بدونه سيصبح الكحك قاسياً صلباً....
ويستمر شلال السمن في التدفق حتي تأمر جدتي بالتوقف... عن الصب وترديد النشيد ..فلقد إنهمرت بحور من السمن... كانت تتاج تسييح الزبدة البلدى في اليوم السابق...ذلك اليوم الذى يعتبر اليوم العالمي لسندويتشات (المورته) , و(المورته) التي لا معني لها فى كل قواميس العرب ...

تلك المورتة هي البهريز المتبقى بقاع الحلة بعد تسييح قوالب الزبدة ... والتى تجمع فى طبق ويترك حتي يبرد لنلتف نحن صغاراً وكباراً حول جدتى ... كل منا يحمل نصف رغيف من الخبز البلدى ...فتغترف جدتي بإصبعها لحسة من ذلك الطبق ... وتضع تلك اللحسة فى الرغيف وتستمر فى فرد المورتة بإصبعها حتي تغطي نصف الرغيف...

وغالباً ما كنت أنال لحسة إضافية بصفتي (ديك البرابر) أو الولد الوحيد قبل مجئ الواد محمد إبن خالتى الصغري ... وكانت بنات العيلة المسلوعين على رأي جدتي

) ... من أصحاب الحظ الوافر فى لحسة إضافية توضع فى الفم مباشرة , إضافة الي نص الرغيف المقرم لكل الحاضرين كبارا وصغارا ...

لم يعد للمورتة طعم ... فقد جربت نص الرغيف البلدى بالمورتة بعد أن رحلت جدتي لأأكثر من مرة, فلم أجد له طعما ...وربما أتت حلاوة و جودة الطعم من البركة ... من طعم لحوسة أصابع جدتي ...

دمعت عيناي ...أعود لاكتب بعد قليل ...

(٤)

الكوليسترول... لم نكن نعرف معني الكلمة ,ولم تكن قد ظهرت في قاموس المصريين في ذلك الوقت ، بل وإمعاناً فى زيادة هذا الكوليسترول .. كنا نتسابق علي عمل سندويتش السمنة بسكر المصنوع من بواقي لحوسة الحلة طبعاً بعد هتافات الصغار (سيبي حبه في الحلة يا ستي) ...

اللت .
نصل لمرحلة (اللت) حيث تتطوع أقوي السيدات في الجلوس محتضنة الماجور (للت العجين)...واللت هو عبارة عن منح العجين علقة داخل الماجور ... ليمتزج بكل مكوناته من سمن وبانيليا وروح الكحك التى لا أعلم متي هبطت إلى دكان عم محمد الدقاق ... وتستمر العلقة كما في مصارعة المحترفين مابين رفع للعجين ثم خفضه بقوة حتي تمتزج المكونات وهي عملية تحتاج مجهود عضلي غيرعادي...

الفتل ...
ثم نصل إلى مرحلة فتل الحكك ولم أكن أعلم أن خلط الدقيق أو العجين بالسمن البلدى يسمي فتل الكحك ... إلا عندما تشير جدتي إلي البنت أو السيدة المحتضنة للماجور ... قائلة :
ستو: ها ... كله موجود ...
يرد الجميع : أيوه يا ستو
فتصدر ستى الاوامر لسيدة الماجور (إفتليه يا بنتي)
فتبدأ بالخلط ثم فى قطع العجين وإعادة عجنه ...

و سألت خالتى .... لماذا تأكدت جدتي من أن كل الناس موجودين ... فردت خالتي

: بأن من لم يحضر فتل الكحك فليس له (مناب).
وحينها عرفت لماذا يقال مثل « بعد العيد ما يتفتلش كحك « ... أي أن مالم يدرك مرحلة الفتل (كمرحلة قصيرة) لن يكون له نصيب ...
وبمعني أدق أن كحك العيد لا يصنع بالبيوت المصرية إلا لتلك المناسبة (عيد الفطر) وفى هذه المناسبة فقط فمن لم يدرك كحك العيد فلن يراه إلا فى العام القادم .
وما أن ينتهي اللت والعجن والفتل ... حتي تسود فترة من الهدوء والصمت بعد أن يتم تغطية الماجور بقطعة من الشاش البيضاء حتي يخمر ... لتبدأ إستراحة المحارب بدوم شاي بالقرنفل (أحد تقاليد الضيافة في بيت جدتي) ..

تنتهي الإستراحة بوقوف جدتي ... معلنة بدأ العملية التالية وهي عملية (التقريص)...وغالباً تعني الكلمة عملية تشكيل الأقراص التى ستتحول كحكاً فيما بعد ...

تلتف البنات حول الطبالي بعد غسيل الأيادي لتهبط علي كل طبلية قطعة من العجين تفرد ثم تقطع بواسطة القوالب المعدنية .

وتبدأ الأغاني والأهازيج ... ومعها تبدأ الأمهات في تعليم البنات الصغار (نقش الكحك) ، حيث توضع قطعة العجين فوق أصابع اليد اليسري بينما يمسك المنقاش باليد اليمني ويتم النقش في شكل دائري حتي تنتهي... لتوضع الكحكة داخل الصاج الاسود.

وعلي ذكر الصاج الاسود ، ففي البيوت القديمة كانت صواني الكحك يتم تسويتها في أقرب مخبز للبيت , أو فى فرن المنزل الموجود فوق سطوح البيوت القديمة .
ولعل الماجور والصواني الكالحة ... هم أجمل ما يمنح ذلك الكحك هذا الطعم والرائحة، بل وأجزم أن طعم راحة يد جدتي يضفي علي الكحك طعماً يفوق طعم الكحك في أغلي محلات مصر المحروسة .

وكانت جدتي تختار أحد الصيجان(الصواني)، وتسميه بصاج (الحلوين) ...وصاج الحلوين .. هو صاج الصغار ...وهو في الحقيقة (صاج العكاكين) ... فتفرد جدتي أحد الطبالى ليجلس حولها الصغار وكانوا كلهم بناتا إلا ديك البرابر وهو العبد لله ... ويستقر صاج الحلوين بجوار تلك الطبلية...

فقد كان للبنات الصغار قطع من العجين يصنعون فيها عرائس للبنات ... وينفرد

العبد لله بصناعة الأحصنة والسيوف والمسدسات وكل أدوات الحرب... وليس عروسا واحدة ككل البنات .فديك البرابر له حظ ٥٠ أنثي فى قانون جدتى ... ويظل الصغار يتفننون في صنع أشكال غريبة لا يفهمها غيرهم ، وكانت تلك القطع الفنية عندنا أهم من كل صواني الكعك ....

وصاج الحلوين يتمتع بحصانة سياسية من جدتي ... بالرغم مما يحويه من عك وأشكال غريبة ، إلا أنه لا تجرؤ أي من بنات العائلة الكبار ,من التهكم علي هذا الصاج ... وإلا تحولت حياتها الى جحيم .. وصارت مسخرة الطبالي ...وفتحت جدتي بالوعة الذكريات.. لتذكر من يتهكم بمواقف يندي لها الجبين ، وأعتقد أن ما في جعبة ستي كان أفظع من سيديهات مرتضي منصور...

(٥)

تنهمك الأمهات والبنات الكبار في إستلهام كل فنون تزيين ونقش الكحك ... فى ظل كل الاغاني والأهازيج .. من (أه يا واد يا ولعة) ... إلي (سيد يا سيد) .. وكان لعبد الحليم حافظ نصيب الأسد ... بعد أغاني التراث ... ويظل الحال إلي ما قبل الخامسة عصراً بقليل ... فقد حان ميعاد أم كلثوم ... فتشتغل جدتي ذلك الراديو الخشبى الكبير... لتصاب ساحة المعركة بحالة من الصمت ... إحتراما لست الكل... ولايجوز النطق إلا لجدتي... وقد تكون الإجابات بالإشارة فقط ... إلا من ... الله يا ثومة التى تطلقها جدتي من حين لآخر طرباً مما تشدو به الست (مش بقولكوا ميراث) .

أصبحت الصيجان جاهزة لتبدأ موقعة ذات الصواني وهي أهم المعارك التي يخوضها صبيان العيلة خلال يوم من الشقاء ,نعم انه الشقاء بعينه ... فهناك أربع رحلات بتلك الصواني المستطيلة (الصاجات) ، المهببة كاحلة السواد.

وتبدأ الموقعة بالذهاب الي الفرن ... لإستعارة عدد من الصواني طبقاً لعدد تحدده (ستي) ... وكان كعادة أصحاب المخابز أن يحصلوا علي مبلغ ما كتأمين مع ترك البطاقة الشخصية كضمان مع تسجيل عدد الصواني في الدفتر .

وكنا محظوظين... فقد كان صاحب الفرن – عم مهران – كما يناديه الجميع إلا جدتي التى كانت تناديه .. واد يا مهران ؟؟؟ ... والغريب أنه كان يرد ... نعم يا ست الحاجة .

ووسط تلك السيطرة الدولية لجدتي , كنا من المعافين من ترك (رهن) أو بطاقة للصاجات ...نظرا لسطوة جدتي وصداقته لخالى ..

لتبدأ الرحلة الثانية من البيت .... فيجب ان توضع علامة على كل الصيجان كي لا تختلط مع كحك الآخرين ... وكنت خبيثاً ... أحتفظ بالطباشيرة التي يمنحني إياها عم مهران وقت إستلام الصيجان الفارغة, داخل جيبي , لأكتب أسمي و إسمي فقط ... على كل أركان الصاج الاربعة .

ومنها إلي الرحلة الثانية بتسليم الصيجان إلى الفرن , وكانت خالتى أم صلاح (هرقل) , قريبة جدتي والقادمة من البلد خصيصا لحضور تلك الموقعة ... والتى هي ليست خالتى لكن إعتدنا أن نطلق هذا اللقب على كل الكبار من المتميزات فى حمل الصواني ...

فكلمة (طنط) لم تكن قد وصلت للأحياء بعد... فكان المعتاد أن يقال خالتى أم فلان ... والبنات الكبار يقال لهم ... يا (أبله) ... ولا يسمح بالنداء بالأسماء المجردة وبلا ألقاب ...
وحين سألت أمي ... لماذا أنادى كل سيدات الحي ... بخالتى ... فكان رد أمي رائعاً ... لأننا تربينا صغاراً مع بعضنا البعض ... كل البنات فى الحي إخواتى .... ما أجمل هذه الأيام ...

وعودة الى خالتى أم صلاح (هرقل) ... فقد كان ربط منديل قديم أو كيس مخدة فى شكل دائري , ليصنع (حواية) فوق رأسها... كفيلا بأن تحمل أم صلاح رصة من الصاجات تصل إلى إرتفاع ١٠ صاجات دون أن تهتز الصاجات فوق رأسها ... بينما أمشي من خلفها (كالطفل الشرير) ... متوقعا متي ستسقط الصاجات من فوق رأسها , ولكن كانت تخيب ظني فى كل مرة .

ومن تقاليد الحى الذي يقع به بيت جدتى وأثناء مرحلة تسوية الكحك , أن تقام مباراة في الكرة الشراب أمام الفرن, لاعبيها هم العبد لله وكل المحاربين في تلك الموقعة علي أن تكون مباراة قصيرة ـ الفورة من ٥ـ حتي يتم تسوية الكحك .

تنتهي المباراة ونصل إلى مرحلة إستلام الصيجان من الفرن بالعدد والعلامة المميزة والإنتظار حتي تبرد ويمكن حملها.

من الطبيعى أن أول صاج يجب الأطمئنان عليه هو (صاج الحلويين) , لأطمئن على خيولى و أسلحتي وعتادى ... التى سيغطيها السكر البودرة فيما بعد ... ثم مرحلة حمل الصواني حتي بيت جدتي وبطلتها أم صلاح المخيبة لآمالى الشريرة ... تليها مرحلة إرجاع الصواني الفارغة الي المخبز معلناً نهاية الموقعة .

ما أن يصل الكحك الى بيت جدتي ... حتي تبدأ عملية التوزيع تحت رعاية جدتي ... بداية من مرحلة رش السكر البودرة (السنطرافيش) والتى عرفت فيما بعد أنه السكر البلورى الذي تطحنه سيدات الاسرة بالدق فى الهون خلال معركة التسوية ..

أما عن التوزيع , فلجدتي عدة معايير فى التوزيع ...

أولها (المناب) ... وهو نصيب كل بنت من بناتها وبنات العائلة وعلى القمة يكون مناب (خالى) ديك البرابر الأعظم ... وهذا المناب كان مزيجاً من الكحك والبسكويت والغريبة ... غالبا ما يعبأ فى صناديق كرتونية بيضاء صغيرة مفروشة بورق الزبدة , عرفت فيما بعد أنها صناديق أحذية العيد الجديدة التى تجمع قهرا وترسل الى بيت جدتى.

ويأتي من بعد المناب ... أطباق (المراضية) ....وهي أطباق المجاملات التى توزع على بيوت كثيرة , وقد كان من العرف أن تغطي الاطباق المسافرة الى بيوت جيران الحي .. بفوطة سفرة ... أو أن يغطي الطبق بطبق آخر ... كي لا يعرف الآخرين مالذي بداخل الطبق ... وهي أحد تقاليد الأحياء الشعبية ....

وغالباً ما كان يطير مني المنديل أثناء الرحلة ... لألتقطه من الأرض ... ويذهب الطبق للجيران بالمنديل معفراً بالتراب ... معتذراً , أو أن أضغط على المنديل كي لايطير ... فيتحول الكحك داخل الطبق الى هرديسه وأعتذر أيضا ..

وكنت أكثر المستفيدين من موضوع أطباق المراضية ... فقد جري العرف فى أحيائنا الشعبية , أنه من العيب أن تعود الاطباق فارغة ... وأدعي أن هناك أطباقا أيام رمضان ... قد قطعت آلاف الكيلومترات ذهاباً وإياباً تحت بند (عيب الطبق يرجع فاضي) ...

فكلما ذهبت بطبق كحك إلى أحد بيوت الجيران , حتي تسمع كلمة (إستني ... يا إبني) ... لأعود نفس الطبق محملاً بأنواع اخري منها الكحك والكسكسي والبسيسة

وسد الحنك ... و لأأ أخشني من وقوع المنديل ... فقد كنت أختلس جزء ليس بقليل منه ... لكني كنت أفضل طبق الفول السوداني من الحاجة أم رضا الأسوانية .

ثم يأتي دور (قُفة) القَرافة ..... تلك القُفة التى تحشوها جدتي بالبسكويت والبلح والبرتقال والسوداني ... ونوع آخر من الفطير كان يصنعه لها خصيصا عم مهران الفران إسمه الشنوريك ... تلك هي لزوم طلعة القرافة (زيارة المقابر) أول يوم العيد .

تظل تفاصيل صناعة الكحك والبسكويت في بيت جدتي .. كثيرة ,شيقة,غنية ، ومنها محاولات الصغار للحصول علي قطع الملبن والعجوة المستخدمة في الحشو ، وكذلك حبات الفستق التي تزين (الغريبة)، إضافة الي الأغاني والأهازيج والضحكات ... تلك التجربة المصرية المتفردة التي تحمل المتعة في كل تفاصيلها والتي يصعب سرد جمال عبقها ودفئ الناس والأهل ، ذلك هو الطعم الحقيقي للكعك.

لم تستمر متعتي فى إسترجاع ذكريات الايام الحلوة فى رحلة عودتي الى المنزل بعلبة الكحك الشيك .. إلا أن أفقت على صوت التليفون من زوجتي ... تسأل : انت فين ؟ ...

وكانت الإجابة ... أنا خلاص قريب من البيت ... يالها من أيام ...

فأنا علي عكس كافة المصريين الناقمين علي أصحاب المحلات التي تصنع كيلو الكحك بآلاف الجنيهات ... فدائما ما أتمني أن أدفع المئات في قطعة بطعم كحك أمي و جدتي ... حتي لو كانت مغلفة في صندوق الأحذية المفروش بورقة زبدة .

كان الكحك بطعم السعادة ، مزين بدفء الأهل وفرحة الصغار، وأكثر روعة من تلك العلبة الانيقة ذات الشريط البراق...تلك العلبة.. عديمة الذكريات ...الخالية من الضحك البرئ ... تلك الجثة الهامدة بلا روح.

ألقيت تلك العلبة الأنيقة فى أقرب مكان حين دخلت البيت ...ومسحت تلك العين التى أغرورقت بالدموع على فراق الاحباب.

وأبتسمت قائلاً لبناتي ...كل سنة وإنتو طيبين ...أنا جبت كحك العيد ... من المحل اللى بتحبوه .

- تمت -

فى عشق الملوخية

يقع العبد لله ضمن قائمة ال ١٠ الأكثر تذوقاً وإدماناً للملوخية في القطر المصري ... وقد كانت أمي ومن قبلها جدتي رحمة الله عليهما ، أول من دفعني لطريق التعاطي .... بل وأصرت علي أن اصل الي مراحل الإدمان في سن مبكرة ...
وأصبح إعداد حلة ملوخية علي طريقة أمي هي أحد شروط الزواج ... والتى لم يسعفنى الوقت لإختبار حرمنا المصون ، معتقداً أن من تصنع المحشي بتلك الجودة ... ستكون من محترفى الملوخية ...

لذا كان ولابد ان تتعلم زوجتي إعداد الملوخية علي طريقة أمي... وإلا دفعني الإدمان الي الإقامة في بيت أمي ... أو البحث عن صانعة أخري للملوخية... حتي لو وصل الأمر إلي تطبيق شرع الله (مثني وثلاث ورباع) من أجل الملوخية.

أدركت زوجتي جلل الأمر ... وباتت تتعلم من أمي الملوخية ... تليفونيا ... حتي بادرت حرمنا المصون .... وفي حركة عنترية في أحد الأيام بعد زواجنا ... علي عمل حلة ملوخية ... وأغلب الظن عند ملاحظتها .. ظهور حبوب حمراء وهرش للعبد لله وهي من أولي بوادر أعراض الادمان .

ما أن وصل طبق الملوخية إلي السفرة ... حتي شمر العبد لله عن ساعديه متلفحاً بفوطة السفرة كما سمبرغانه في مسرحية المتزوجون .... ومع نزول أول ودن قطة وخروجها في حركة راسية محملة بالملوخية... وأثناء توجهها في حركة أفقية متزنة الي فم العبد لله ، حدث مالم يكن في الحسبان ....

قطعت الملوخية ... قطع ذلك الحبل من المد بين ودن القطة والملوخية ... والذي يدل طوله ... علي معايير الجودة في الملوخية ... ورسبت أول ملوخية لحرمنا المصون في أول بند من إختبارات الجودة .

لاحظت زوجتي أعراض الصدمة على العبد لله ولم تبادر بالسؤال المعتاد عن رأيي في الملوخية ... لتري رد فعل الزبون ؟ .... وتمالكت نفسي فما بين الإمتعاض والمجاملة من كل عريس جديد ، ليكون ردي دبلوماسياً رقيقاً ... مجيباً (حلوة يا حبيتي).
إقتنعت زوجتي أن كلمة (حلوة) هي مجاملة (وأن الزبون حيطفش) وقد يتبعها إتصال تليفوني بأمي ، طالباً حلة ملوخية مستعجلة ، أو البحث عن عروس اخري

تسترعلي إدمان العبد لله.
ثم محاولة ثانية , فثالثة ... ومن الآخر فشلت المحاولات ، مما أدي إلي دخول العبد لله للبحث في مواقع الزواج عن عروس تجيد الملوخية قراءة وكتابة .

ولأنه من الجائر إفساد تلك الزيجة الجميلة بسبب حلة ملوخية ، قررت أن أمنح زوجتي دورة لمدة اسبوع في محاولة أن تصنع زوجتي الملوخية ... بجودة ملوخية ست الحبايب.

إنها الملوخية العشق والمعشوق ... فالعبد لله من محترفى الملوخية ... وأستطيع أن أحكم على الملوخية من لحظة نزل الطبق على السفرة .... فالملوخية (الصايصة) كثيرة الشربة ... ترقص وتلون حواف الطبق في يد حاملها... والملوخية السميكة , عديمة الشوربة ...ترسو رسو العدس فى وسط الطبق...
بينما الملوخية الرديئة ... تجد فيها هرديبس أخضر...عائم فى مياه ما بين الأصفر والأخضر...أو لا لون لها ... بينما تجد شظايا التقلية مبعثرة كضحايا غرق السفن , وأغلب الظن انها ملوخية (أوديحي) بلا مرق... أوأنها ملوخية الخايبة ... على رأي جدتي .

أما عن الملوخية جيدة الصنع فتجدها مستقرة متزنة داخل الطبق , ترقص فى هدوء سهير زكي , وتهتزعلى الواحدة بين يدي حاملها , خضراء من غير سوء تسر الناظرين .... والملوخية رغم طريقة صنعها التى تعتبر بسيطة للبعض... إلا انه السهل الممتنع ... إنها الملوكية التي يمكن أن تسقط على أعتابها كبرياء العديد من سيدات النجريسكو والبيكاتا بالمشروم ...

ومن كثرة عشق الملوخية , كنت قد بحثت كثيراً إلى أن توصلت إلى عديد من الحقائق حول أصل التسمية... فقدعرفت الملوخية فى فترة عصرالصراع العباسي - الفاطمي ... على أنها ذلك العشب الغريب الذي ظهر علي أطراف نهر النيل فأكله المصريين وأكله من بعدهم الحاكم بأمر الله فتلبكت أمعاؤه.... فكرهها ... ثم عرف انها تعالج قرحة المعدة فحرمها علي المصريين.....

وجاء في كتاب "ملامح القاهرة في ألف سنة" لجمال الغيطاني، أن الحاكم بأمر الله ... أصدر بعض القرارات التي سخر منها التاريخ...من بينها منع أكل الملوخية... ولكونه حاكم إشتهر بتصرّفاته الغريبة... وقيل إنّه منع المصريين من تناولها إدراكًا منه لفوائد الملوخيّة ... وحتّى يحول دون إنغماس الرجال والنساء في الملذّات...

فأطلقوا عليها "مُلُوكيّة" نسبة إلى أن تناولها كان قاصرًا على الملوك فقط.

وقد تأكد أصل التسمية حين ساقتنا الاقدار أنا وصديقي أشرف المقيم في تايوان ... للبحث عن الملوخية في الأسواق داخل مدينة تاياي ... لنجدها أخيراً لدي أحد البائعات التى تبيعها بإسم ترجمته الملكة المصرية ..

وعودة الى أصل التسمية ... فلم أجد في كافة المراجع أي دليل علي التسمية الحالية إلا كلمة (الملوكية) ... فهي المرجع الوحيد الأقرب للتصديق ... والأقل في الفتوى ... والأفضل هو تصديق عمنا جمال الغيطاني.

(٢)

إصطحبت زوجتي إلي بيت أمي ... ومعي, أوراق وأقلام ... والعديد من أدوات القياس كالمكاييل وميزان حساس من بتاع الصاغة ... بل ومعي ساعة ميقاتية لقياس الوقت ... فتوقيت الطشة يجب ان يكون دقيقا وبكسور الثانية .
بدأت أمي في مراسم الملوخية مستغربة من (الهليلة) اللي أنا عاملها ، ولكن هاودتني ... فهي من دفعتني إلى طريق التعاطي والإدمان .... ومن منطلق علمي بحثي بحت .. سجلت كل شئ ...المقادير .. معدل التخريط (تخريطة/ ثانية) ... زمن التخريط ... وأبعاد المخرطة... توقيت نزول الشوربة ... معدل التقليب(تقليبة/ ثانية).. وصولاً الي كمية الملوخية الي الشوربة كنسبة مئوية .

ومن هذا المنطلق العلمي البحت إستمر العبد لله فى التدوين كما لو كان أحد علماء الفضاء الذي يسرق سر الوقود النووي لسفن الفضاء ... مدوناً المعايير ومعدلات الأداء وتوصيف الإجراءات ... بمقياس كمي وكيفي ، حتي في وصف الحركات الجسدية عند مرحلة الطشة ... وهي أحد معدلات الأداء التي تؤثر في جودة المنتج .

وعدت إلى المنزل برفقة زوجتي الحاصلة على الماجستير فى الملوخية من جامعة ست الحبايب فى أول تجربة بعد العودة للمنزل ... من تلك البعثة العلمية ...

وعند الغداء , في اليوم التالي ... فوجئت بحرمناالمصون تضع أمامي علي السفرة طبق من الملوخية ... ومعه زغيف بلدى وطبق الباذنجان المخلل قائلة : دوق كده أعددت أول ودن قطة ...غمستها ..وصعدت بها .... لم ينقطع حبل المدد... تذوقتها مرددا ...الله .... حلوة الملوخية...

ونجح زواجنا ...ووجدت مصدر لمروجة ملوخية محترفة للمدمنين أمثالي ...وظلت زوجتي تصنع الملوخية من باب التجويد ... لمدة ثلاثة أيام ... بينما أضطر العبد لله إلى الحصول على إجازة من العمل ... وبلغ شريط انتينال دفعة واحدة..... فلايجوز للمؤمن تناول الملوخية يومين متتاليين و إلا منح إجازة من الشغل عن اليوم الثالث .... علي أن يقيم بكرسي بجوار الحمام علي مدار اليوم ... إنها ضريبة عشق الملوكية

وسرح العبد لله فى ذكريات الملوخية ... فللعبد لله صولات وجولات في عالم الملوخية ... ولكن الملوخية المصرية في مصرهي الطعم الاصلي الذي لا يضاهي مهما كانت يد الصانع حتي لو كان أغلي شيفات العالم..

وتذكرت لقاء الصدفة بيني وبين صديقي البحريني (حمد) في ماليزيا ... وكنا نزلاء أحد الفنادق الفخمة في كوالالامبور العاصمة ...وبما أن العبد لله فقرى ... ومش ومش فنادق فخمة ... وكذا صديقى حمد البحريني الجنسية ,المصرى الهوي ... والذي يشاركني نفس المشاعر الفقرية إلى حد الرمرمة ... فقد قررنا أن نخرج للغداء خارج الفندق الشيك زيادة عن اللازم بطريقة تموع النفس ...

وكان الأقرب للفندق هو مطعم عربي في شارع خلف الفندق...وصلنا المطعم ... وبنظرة الخبير الى المنيو بدأ العبد لله في الإبداع في الطلبات كمن يأكل في اخر زاده.... إلي أن وقعت عيناي علي كلمة «ملوخية»... وهنا بدأت القشعريرة والحنين مع موسيقي فيها (حاجة حلوة) في الخلفية ...و تقدمت الملوخية أول الطلبات ... بعد ان تأكدت أنها علي الطريقة المصرية ... أو هذا ما اخبرني به الشاب الأردني من المطعم .

وجاء الدور علي حمد ليطلب ما سيأكله ...وإذا بإجابة غير متوقعة من صديقي البحريني الجنسية مصري الهوي ... فقد طلب وجبة (مندي) يمنية ....كيف يا حمدون (كما كنت أحب أن أناديه) ... هل طاوعك قلبك فى أن تطلب غير الملوخية ..

وكان رده صادما ....
أنا مو بدي ملوخية ؟...
ياللهول (بصوت يوسف وهبي)... بادرت حمد سائلاً : ازاي جالك قلب...

هل طاوعك قلبك فى قول (لأ)... وبهذه الجرأة وبلا أي تفكير ...وأنا الذي كنت حأمنحه الجنسية المصرية الشرفية في ختام اليَوْمَ العظيم الذي بدأ بفلافل وسينتهي ب ملوخية في بلاد تركب الأفيال .

بصراحة كان رده صادماً غير متوقعاً !!؟؟؟

وفجأة تحول حمد وظهرت على وجهه علامات الصرامة .... مُشيراً ناحيتي بإصبعه ... يا أخي أنت من يجب أن تنزع منه الجنسية المصرية ...

وأستطرد قائلا ... يا أخي الملوخية المصرية لا تؤكل إلا في مصر,وفي بيت مصري,وبيد ست مصرية من الأحياء الشعبية ,تعرف أصول الشهقة وسر الطشة ...فبيوتكم فى مصر ... لها رائحة وعبق وبها دفء وترحاب وود رغم بساطته ...ولا طعم عندي للملوخية إلا في في مصر ...

وفجأة نظر في عيني ، موبخاً ... كيف هان عليك أنت المصري الأصيل أن تأكل الملوخية في مكان غير مصر؟

وأشار بإصبعه في وجهي ثانية ، ولكن تلك المرة كان أكثر حسما وصرامة... وعلا صوته .. إنها الخيانة العظمي الملوخية ياصديقي المصري الأصيل؟ ....فبادرت ... هش حتفضحنا ... إهدأ ...
لم يهدأ حمد بل إستمر وبوتيرة أعلى وقد أخذته الحمية ... أنت لم تخن مصر فقط .. بل خنت أمك وجدتك من قبل.. وخنت كل مصرية تجيد صنع الملوخية ...

وهنا إنتابني ذلك الإحساس المُر بالخيانة العظمي ... بل وأدركت أني أستحق أقصي درجات العقوبة ... ومنها الشنق بحزمة ملوخية في ميدان عام..أو أن يزج بي غرفة الغاز لأستنشاق طن من الطشة بالثوم دفعة واحدة... كي أكون عبرة لكل الخونة ...أو أيٌ من تسول له نفسه بخيانة الملوخية ...

بل وتوقعت ... أن يرسل حمد خطاباً لسفير البحرين بالقاهرة ... ليطالب الخارجية المصرية بتقديم مقترح لمجلس الشعب لعمل قَسم الملوخية ليؤديه الطلبة في المدارس ... على أثر فضيحة العبد لله فى الاوساط الكولاامبورية ...وتخيلت شكلي حين يقبض على فى مطار القاهرة... وأنا أصرخ .... بعتني يا حمد ؟؟

(٣)

وتغيرت موسيقي الخلفية من (موسيقي فيها حاجة حلوة) إلي (موسيقي رأفت الهجان) و أحسست بأن ملامح صديقي حمد بدأت تقلب علي يوسف شعبان ... يالله والخزي ، لقد جلبت العار للملوخية المصرية؟؟؟

وفي ذروة هذا الإحساس بالخزي والعار ... أخذني الحنين الي ملوخية أمي وجدتي... بل الي ملوخية زوجتي التي ستصنعها بمهارة جدتي رغم انهم لم يلتقيا أبداً ...

وتذكرت تفاصيل الملوخية في بيت جدتي...

فالملوخية عند جدتي ...تبدأ من مرحلة الشراء ... حيث كانت جدتي تفضل الملوخية (الورق) الصابحة ... وهي الملوخية الصغيرة ذات الأعواد الفاتحة والورق الأخضر الفاتح ... وهي أحد المؤشرات التي تدل علي أنها ملوخية « فلاحي» ... وغالباً مايكون الشراء من السيدات الفلاحات اللاتي يفترشن الأرض في السوق ... هو الحل الاضمن للحصول علي ملوخية (فلاحي ورق) طازجة ...و كانت الملوخية تباع بالربطة أو الحزمة وليس بالكيلو ، وكانت الفلاحات تمنح من يشتري كام عود (رجله - بكسر الراء) فوق البيعة ، كنوع من الاكرامية....

وكنت دائماً ما أبادر بسؤال جدتي كأي طفل (حشّري)... هو إيه ده يا ستو ...فتكون الإجابة أن تلك الرجلة ... تضاف الي الملوخية عشان تعمل (ريق وعرق)...
طبعا لم أدرك معني الريق ولا العرق ... إلا حين أسهبت جدتي ...عشان لما تعمل اللقمة ودن قطة الملوخية ما تقطعش منك ؟

بالطبع لم أستوعب ما قالت جدتي .. ولم أفهم معني عرق أو ريق...إضافة إلى هذا التفسير المبهم... ألا وهو كيف تقطع الملوخية ؟... وهل سنقطع كل آذان القطط من أجل أكلة ملوخية ؟

المصيبة الأكبر أني كنت أعلم أننا في طريقنا لقتل زوج من (الأرانب) ... كما كانت تسميها جدتي والتي هي (الأرانب) في اللغة العربية من أجل تلك الملوخية؟؟

كيف نقتل الأرانب من أجل الملوخية وهل (الأرانب) هي نوع اخر من الأرانب ؟

وهل ضمن تلك الأرانب (أرنوب) بتاع ماما نجوي ...إزدحم رأسي بالأسئلة ... وأصبحت فجأة أكره الملوخية الظالمة ...تلك الملوخية المفترية التى تقتل أرنوب وتقطع آذان القطط وبتعرق وعندها ريق ...

فأنطلقت بحماس طفل التاسعة صارخاً ...
أنا : ستو يالا نروح ... أنا خلاص ما بحبش الملوخية ...
رمت جدتي فوق كتفى قائلة :
ستي : الملوخية حلوة ... حاحكيلك لما نروح ...

لم تشبع تلك الاجابة رغبتي الملحة فى معرفة مصير أرنوب ... وكيف ستسمع القطط بدون آذان ...
وماهو مصير ماما نجوي ... التى ستصبح بلا عمل بعد سقوط أرنوب فى بئر الملوخية ...ووصلت حالة الإحباط الى أقصي صورها وأنا أشاهد هذا الارنب الجميل مرفوعا من آذانه بيد الفراجي ليسلمه لصبيه الذي ذهب لاخر المحل ... صارخاً بسم الله الله أكبر ... ,

لم أعرف أين ذهب أرنوب بعد تلك الصيحة العالية .... وهل أرنوب هو من يلفه الآن عم حسن الفراجي فى ذلك الورق السميك ويسلمها لجدتي قائلا : ألف هنا وشفا ..

إنه عم حسن القاتل ... هو وصبيه ذو الصيحة العالية ...وجدتي التي دفعت للقاتلين المأجورين لتصفية أرنوب ...

قُتل أرنوب ....وكيف سيكون حال ماما نجوي الآن ... ولماذا لم يصرخ أرنوب (اللمض) ليطلب النجدة .. قبل أن يتم تصفيته ..ولماذا ألف هنا وشفا .... فتكفى هنا وشفا واحدة فقط ..

أدركت جدتي ما أنا فيه ... فقررت وبكل ذكاء أن تمحو تلك الذكري الشنيعة من خاطري ... وكان ردها ذكياً بما يكفى لنسيان عملية الإغتيال لأرنوب ... وأن مستقبل ماما نجوي لم يضيع بعد ...

وكان تفسير جدتي ... أن الارانب تلد كثيرا وإن لم نذبحها ونأكلها ... سيمتلئ العالم

بالارانب ولن يوجد مكان للبشر ... وستأكل الارانب أكلنا وشربنا ... بل ستأكلنا إذا لزم الأمر ...

فنحن حين نأكل الارانب نحميها ونحمي أنفسنا ...فهل تحب أن تأكلنا الارانب ... وكان ردي شجاعا قويا .. لا يا ستو (نأكلهم إحنا) ...ومن هذا اليوم تحول عشقي إلى أرنوب ماما نجوي إلى حالة من الترقب إلى متي ستضع ماما نجوي هذا الأرنوب آكل البشر فى حلة الملوخية...

إلى أن اقنعتني خالتى فيما بعد ... أن أرنوب بتاع ماما نجوي ... أرنوب طيب...ولا يمت بصلة الى الأرنب الذي سنأكله ...ولم أقتنع .. لكن حبي للملوخية .. طغي على حبي لأرنوب... فالإدمان صعب .. حتي لو كان فى المقابل ... ضياع مستقبل ماما نجوي .

(٤)

وصلت و جدتي للمنزل لتبدأ المرحلة الثانية ... وهي مرحلة الغسيل ثم التقطيف ثم الغسيل مرة أخري وصولاً الي المرحلة النهائية لأسمع صوت (ستي) تنادي هات الطبلية الصغيرة ....

نهضت كالهمام ... مدحرجاً الطبلية الخشبية الصغيرة حتي وصلت إلي حيث تفترش جدتي الارض فى مكانها المشمس و المفضل ... فوق الشلتتين في البلكونة ... لتفرش الملوخية فوق الطبلية لتجف من المياه..

فقد كانت الطبليات أو الطبالي في بيت جدتي لها العديد من المقاسات وأشهرهم الطبلية الكبيرة والتي تشتهر بلمة صناعة كحك العيد. .. و الغريب أن لدى جدتي سفرة كبيرة ... لا تستخدم إلا فى وجبة الغذاء فقط ... وتبقي السفرة للمذاكرة وفرد الخبز الطازج حين يحضره صبي الفرن ..

ومايدور في ذهني الآن ...
لماذا كانت نكهة وطعم الملوخية التي يتم تخريطها علي الطبلية ... أطعم من تلك الجاهزة التي تصنع بلا نكهة أو طعم هذه الأيام ... ربما (خشب) الطبلية هو السبب.

وبينما يجلس العبد لله للفرجة علي أمل ان تدعوني جدتي للمشاركة في تخريط الملوخية ... باستخدام المخرطة...فقد كانت لعبة تخريط الملوخية لعبة مسلية للعبد لله الحشري ...
وهي محاولة تخريط بالمخرطة جالساً متربعاً في حجر (ستي) ،،،، نعم كنّا نطلق علي جدتي ستو أو ستي ... فلم تكن ألقاب (نينا وتيتا وأنّا) اخترعت بعد إلا في أفلام عماد حمدي.

أما عن التخريط فهي صنعة وخاصة التخريط علي الطبلية ... والطبلية الخشبيّة تساعد على التخلّص من الماء المتبقي من غسل أوراق الملوخيّة...ودائماً ما كنت ألح علي جدتي (كطفل مخم) ... أن تطلق تلك العبارة التي تغيظ بها أصغر خالاتي ...
فتستجيب جدتى مرددة :
بكره يا صغنتطة ... تيجي تحت المخرطة ...
لأموت من الضحك علي تلك الجملة التي لا أعرف معناها حتي الآن...

وتبدأ عملية طهي الملوخية

وأذكر حينما حاولت خالتي الصغري تعليم إبنة خالي صنع الملوخية ... نصحتها... أن الملوخية قوامها مرقة أو شوربة ... وليس (أوديحي) ... وهي كلمة (اوديني) بالانجليزية ومعناها تقليدى...

فما أن بدأت الملوخية في الغليان حتي تركتها جدتي لتهدأ...لتهبط عليها إبنة خالي بالطشة... بكل غشم المبتدئين ... مع شهقة قوية ...تلازمت تلك الشهقة مع خروج بخار الثوم من الملوخية... فإستنشقته كاملا... وأغمي علي بنت خالى

وسقطت علي قفاها مصابة بجرح في رأسها ... وأعتقد أن هذا الجرح هو سبب الحجاب المبكر « حجاب الملوخية « ...وكنت أذكرها بتلك الواقعة ... كلما إلتقينا ليحمر وجهها ... فمن الواضح أنني لازلت طفل (مخم) حتي الآن ... ماتزعليش ... الفضيحة بقت علني .

وعلى ذكر الطشة ...يأتي ذكر (الهون) ...وهو من الأدوات المصاحبة لصناعة الملوخية ... بل قد تكون فى المرتبة الثانية بعد المخرطة ... ولا أعلم لماذا أتحدث عن تلك الآلة بصفة التأنيث رغم يقيني أن الهون إسم مذكر .

والهون وهي أداة بدائيّة من قطعتين ... وعاء , و يد مستقيمة قصيرة... و كانت تصنع من الحجارة ثم الخشب والمعدن ... وتُستخدم لطحن التوابل والثوم...

ولها وظيفة أخري في إحتفالات السبوع .. وهي بث حالة من الرعب ... مع إحداث ضعف حسي سمعي لكل حديثي الولادة ...وهي الأداة الأفضل في صناعة (الطشة) ... التي تتبعها الشهقة وهي أحد الاسرار التي قتلني الفضول لأعرفها... وفشلت ..

والملوخية لها قواعد في الأكل ... فمن سوء الأدب أن يصاحب الملوخية أي شئ عدا الأرز الأبيض... أو الخبز البلدى الأسمر..ومحاولات المساس بالأرز بإضافة شعرية أو أي إضافات تعتبر في حكم الجناية في حق الملوخية .

ومهارة صناعة ودن القطة من رغيف بلدي من أبو ردة تحتاج إلى تدريب ... حيث تسقط ودن القطة كالمغرفة حتي تصعد اللقمة من داخل الطبق بشكل رأسي ومتوازي حتي ينقطع خط المد (المسمي بالعرق أو الريق) من الملوخية مباشرة الى فمك ...

هناك إحتمالات كبيرة أن تحتاج إلى تغيير القميص بعد تلك الوجبة إذا لما تكن محترفاً .. أو أن تكتفي بشربها بالملعقة وذلك فى حق الملوخية إثم عظيم ... وتعتبر فتة الملوخية بالعيش هي أحد وسائل الهروب من إستخدام ودن القطة حفاظاً علي الشياكة في العزومات .

والملوخية ليس لها علاج عند الإدمان ...فعند الطبق الثالث تكون قد عبرت من مرحلة التعاطي الي مرحلة الإدمان ... كما حدث مع فيرينا الألمانية ... زوجة أخي الاصغر عمرو ... والتي حصلت علي كيسين ملوخية قبل سفرها للتعاطي ... بعد أن تجاوزت الطبق الثالث فإنجرفت إلي عالم الإدمان .

والملوخية لها علاقة طيبة (بالأرانب) أو (الأرانب) لكن هكذا يسميها المصريون (ملوخية بالأرانب) ، واعتقد أننا الشعب الوحيد الذي يأكل الأرانب في المنطقة العربية... أو أن يرافقها علي السفرة زوج من الفراخ البلدى الشاموزت المحمرة...

فيما لازلت منشغلا بتلك العلاقة السرمدية بين الملوخية ..والبدنجان المخلل..

والطماطم المخللة بالثوم..وطبق البامية ...الذي ليس له علاقة من قريب أو بعيد...إنها تلك التركيبة الغريبة التي تزين السفرة المصرية كتقليد أو عادة .

وما أن أخلو من ذكري ملوخية ستي طيبة الذكر... إلا ويوقظني صبي المطعم العربي في كوالامبور ... معلناً عن وصول الملوخية (دليل الخيانة العظمي)، فكان ردي بكل إباءً وشمم .. شيل الملوخية ... مش عايزها .... تحيا مصر بالملوخيه... ليس كرهاً فى الملوخية ... بل خوفاً من الجاسوس حمد .

- تمت -

حُماية العيد

حُماية العيد – فى البداية ... أعتذر ... فأنا أعرف كيف تنطق حُماية العيد ... ولكن لا أعرف كيف تكتب ... هل بإضافة الواو أم بضم الحاء ... فقررت أن أكتبها كما ننطقها ...
حُماية العيد ...هو ذلك الطقس والموروث المصري الأصيل والذي لا صلة له بالعصر الفرعوني من قريب او بعيد...وأغلب الظن أن تلك العادة من موروثات العصر المملوكي ... فهو عصرتميز بتعذيب المماليك وسلخهم ...حتي يصبحوا من أصحاب البشرة البيضاء المحمرة كالجراكسة...

وفي ذلك العصر بنيت كل الحمامات الشعبية ... التي كانت تسلخ و تقشر جلد المماليك والمصريين...وتظل الحمامات الشعبية فى مصر شاهداً على أن من بادر بإنشاء تلك الحمامات هم المماليك...

وكان للحمامات الشعبية فوائد عديدة ... كتقشير الجلد الميت معتمدةً على كيس معين مصنوع من ألياف طبيعية ... لتنشيط الدورة الدموية في الجسم وفتح الشعيرات الدموية ... وإزالة السموم المتراكمة على سطح الجلد... وليس لكل ما سبق علاقة بقصتنا إلا من عبارة ....»دخول الحمام مش زي خروجه»..

ويعتبر حمام فرعون فى منطقة جنوب سيناء شاهداً على أن للموضوع جذور فرعونية ولكن لم تظهر أي نقوش تدل على أن الفراعنة خصصوا يوماً معيناً للنظافة أو الإستحمام كما نفعل فى الأعياد فى مصر.

أما عن التنفيض ... وبمراجعة كافة الآلهة عند الفراعنة ... لم يظهر أي دلالات لوجود إله التنفيض فى أي من الأسر الفرعونية... ولا فى كل العصور من العصر الحجري إلى العصور المملوكية .. إلا فى عصرنا الحديث

وعن ذكر ذلك الطقس الغريب .... ألا وهو...التنفيض ...

فما أن ينتهي رمضان أو يعلن عن وقفة عرفات ، حتي ينطلق النفير معلناً ... نوبة النظافة فى بيتنا العامر
... وتلك النوبة تعني في أن النظافة تسري علي البشر والحجر ، وكل ما يقع داخل زمام البيت الخاضع لسيطرة ست الحبايب سيتم تنظيفه برغبته أو قسراً ...

بل وتعتبر هي الآمرالناهي والحاكم بأمره منذ إعلان حالة الطوارئ ورفع درجة الإستعداد .

تبدأ تلك الغارة حين تصحو صباحاً مرعوباً علي طريقة الدحرجة أو علي طريقة (محشي الكرنب)...نعم ... علي طريقة (محشي الكرنب)... حين تفاجئ بأنك تتدحرج داخل السرير ... كما صباع المحشي عند لفه ... لكي تسحب الملاية من تحتك بغرض الغسيل ...فتجد نفسك في حالة (دألجة) بينما قد سحبت ملاية السرير من تحتك بإحتراف ، غيرعابئين إن كنت ستبقي فوق المرتبة ... أم تحت السرير بفعل حركة الدحرجة اللولبية...

ستبوء كل محاولات العودة للنوم بالفشل ...بل ستصحوا في فزع علي صوت المنفضة ... وهي إختراع من عيدان الخزيران الملتفة على شكل أقرب لمفتاح الحياة عند الفراعنة ... وتستخدم في تعنيب السجاد ... حين تنهال بها السيدات ضرباً في السجادة بعد تعليقها علي حافة البلكونة ... لتنفيضها من التراب ولإخراج الكبت وللعلاج النفسي ... ولتعفير وجوه كل المارة في الشارع .

وفي جولة سريعة بالمنزل سيتولد لديك إحساس بحالة الحرب ...فالكراسي أصبحت فوق الترابيزات ولا توجد سجادة علي الارض وأصبح الصالون والكنب عارياً دون ما يستره .... وأختفت الستائر ومن بعدها أختفي الشنيش وأصبحت كمن يسكن في العراء .

وعند أول محاولاتك للخروج من الغرفة ستجد البيت غارقاً في المياه ... ليس بسبب الفيضان ... ولكن بسبب حالة المسح ... وغسيل الشبابيك ... والسجاد ... مع وجود عبارات تحذيرية مرئية ومسموعة من أول (خلي بالك) ... (عدي وخلصنا) ... (عّك وانت ماشي) وهكذا ...

أما عن ابسط حقوقك وهي دخول الحمام ...فلن تجد في الحمام أي متسع أو مكان لممارسة ذلك الحق الطبيعي للبشر ... فالحمام ملئ بالسجاد والستائر.... وستعرف حينها أين ذهب شنيش الشبابيك ...

وفي هذا اليوم المشهود ستجد أن سيدات المنزل قد تحولن إلي زومبي... بفعل الأتربة فوق وجوههن من غبراء الحرب ...وتجد نساء المنزل قد إرتدت ملابس الحرب كما الرومان ...

فذلك المنديل المعصوب حول الرأس كما محاربي النينجا ... ثم تلك الطريقة المصرية ... الغريبة المبتكرة ... في التشمير أو تقصير الجلابية بتدكيكها في أستك ملابسهم الداخلية .(عادة مصرية متأصلة).

أما عن الحق الطبيعي الثاني لأي مواطن وهو الأكل... فقد ضاع ذلك الحق... في إطار الاحتفال باليوم القومي (لبواقي الثلاجة) ..... وهو تقليد مصري أصيل أيضا ...ففي ذلك اليوم لا وقت للبطون حين يدق آتون الحرب ... وليس لك إلا من طبق أو ساندويتش تأكله واقفاً على رجل ونص بجوار البوتاجاز داخل المطبخ المقلوب أيضاً .

(٢)

وبأوامر صارمة ترتدي ملابسك سريعاً... فقد صدرت تعليمات بأن تنزل فوراً للحلاق ... أما عن ذكر الحلاق طيب الذكر ... فهو الحلاق المختار للعائلة ... (عّم حسن) الحلاق القابع على بعد شارعين من منزلنا... والذي كان الحلاق المفضل لجدي السابع عشر...

وتشمل التعليمات :
خليه يقصرلك ...
ما يعملكش قُصة...
يدرجلك قفاك...
خليه ينضفلك قفالك بالموس...

فتتلقي التعليمات في صمت لتحصل علي نقود الحلاقة... وتسير إلي الحلاق في حالة من الذهو والإعتزاز فلقد أصبحت كبيراً ... طويلاً ... فقد تجاوزت التاسعة من العمر ... ولن تحتاج والدك ليصطحبك الي الحلاق ... وستجلس على كرسي الحلاقة كخلق الله العاديين... ولن تحتاج الي تلك الخشبة المهينة ... التي يضعها عم حسن فوق يدي كرسي الحلاقة ... عند الحلاقة للصغار كي ترفعهم حتي مستوي أيدي عّم حسن ومقصه ذو التكتكة المستمرة بلا أي داعي .

وفي منتصف شارع ١٨ يقع صالون النزاهة .. لصاحبه عمو حسن ... وصالون النزاهة ليس إلا محل من بضعة أمتار... بواجهة زجاجية وباب مفصلي من الخشب ... به

تجويف بيضاوي من الزجاج الابيض مرسوم عليه .. مقص مفتوح ومكتوب تحته .. صالون النزاهة ...
فى جانب المحل الأيسر تجد كرسيان للحلاقة يقابل كل كرسي مرآة متآكلة ... تكفى إلى أن ينظر إليها عم حسن فقط ... وتسعي مجتهداً لتري نصف وجهك فقط أثناء الحلاقة ... وفى الجهة الاخري من كراسي الحلاقة ... مجموعة من الكراسي للإنتظار ...

وأمام الكراسي تقبع تلك الترابيزة الخشبية ذات القرص الزجاجي المكسور ... والذي إستبدله عم حسن بكرتونة نتيجة ... ليوضع عليها ... طفاية السجائر العتيقة والعديد من المجلات القديمة ...

وفى ركن المحل ... تقبع تلك المروحة العتيقة المكتوب عليها (شنبرا) ... من إنتاج المصانع الحربية .. متكئة فوق كرسي خشبي .. تصدر صريراً يصم الآذان ... ولا مفر منها فهي البديل لمروحة السقف التالفة المعلقة فى سقف المحل ... مونشحة بوشاح من نسيج العنكبوت ..

حقيقة لم أكن أعلم لماذا يصر عّم حسن على وضع كرسيين للحلاقة ... بالرغم من أني لم ألحظ وجود حلاق آخر أو مساعد ...وأغلب الظن أنه كان يحافظ على ذكري شريكه الذي كان يقص شعر سعد باشا زغلول .

أجلس داخل صالون الحلاقة متباهياً بنفسى فقد صرت من الكبار ، واضعاً ساق فوق الآخري متصفحاً المجلات (الأبيحة) ...فقد كان لدي عّم حسن مجلات الموعد والصياد والشبكة اللبنانية... التي كانت تشتهر بنشر صور الممثلات بملابس البحر ... في مناظر كانت تعتبرها الأسر المصرية مناظر أبيحة ... ولا يجوز أن تدخل تلك المجلات الي البيوتات المحافظة .

ويبدأ عّم حسن في الحلاقة مؤدياً مهامه كما يجب ... من مرحلة لف الفوطة اليتيمة التي كانت بيضاء في يوم من الأيام ... ممارسا مهارة التكتكة بالمقص على الفاضي والمليان ...

فعّم حسن تنتابه حالة عصبية بتحريك المقص بصفة مستمرة ... سواء كان يمارس قص الشعر أم لا ... وما أن أجلس على الكرسي حتى أكرهعلى عم حسن ... كل توصيات أمي نقلاً عن أبي من تدريج القفا .. والتحذير من عدم عمل قُصة ... بينما

أُغفل توصية أمي بتنظيف القفا بالموس ... فهي عملية مؤلمة ... فعم حسن لديه موس من الصلب العتيق .... يظل يمرره فوق ذلك القايش أو الحزام الجلدي المعلق بمسمار في الحائط ... ظاناً انه يحمي الموس ويجعله حاداً ... بينما يظل الموسي كما هو مؤلما وينهش في القفا عند مرحلة التنظيف ...

لا يعبأ عم حسن بكل ما أقول ... بل يبدأ في التكتكة بمقصه المزعج من فوق ذلك المشنط الأبيض العتيق ذو الأسنان المتآكلة ... مقصراً شعر العبد لله ووصولاً الي مرحلة (الفنش) ...

وكلمة «الفنش» عند عم حسن ... تقال عندما تستعجله ... فيرد «خلاص أنا بأعمل الفنش» ..و«عملية الفنش» تظهر بوادرها بضربتين من تلك الفرشة المعفرة ببودرة التلك ذهاباً وإياباً فوق القفا المسلوخ ... مع نقطتين كولونيا ٣ خمسات ... موقداً النار في قفا العبد لله ... خالعاً عنك تلك الفوطة ... ناطراً الفوطة للتنفيض ... مطلقاً كلمة« «نعيماً «... معلناً إنتهاء عملية الحلاقة بكل عذاباتها ...

وتشمل مرحلة الفنش ... تلك اللحسة من برطمان فازلين (بريانتين) ... الذي لا يذوب في يده المبللة بالماء و بعد دعك ربع ساعة ... ليملس به علي شعر العبد لله بعد التسريح ... للحصول علي ذلك الشكل البراق (فلم يكن الجيل وكريمات الشعر قد ظهرت بعد) ، إضافة إلي قناعة عم حسن أن (الاستيشنوار) على حد قوله ... هو إختراع فاشل للعيال الخنافس ... الفافي.

(٣)

يصل العبد لله إلي المنزل في حالة من الوجاهة... ولا أحمد مظهر فى فيلم الأيدي الناعمة ... واضعاً يدي في جيوب الشورت... مستمتعاً بذلك التلزيق الفيزليني البراق ... مع مسحة من عبق ال ٣ خمسات...
إلا من بعض الهرش فى منطقة الظهر... والتى لا أعلم إن كانت من بواقي الشعر أم من بودرة العفريت الى يرشها عم حسن فى مرحلة الفنش ...

وسرعان ما ينتهي ذلك الإحساس بوجاهة . وهيبة أحمد مظهر حينما تفاجئ بكلمة أمي ...(نعيماً)
... تتبعها جملة (لف وريني قفاك)...

ماهذا الظلم والإستعباد ؟
إنه قفايا ....
ولم تلك الجملة المهينة (لف ورِيني قفاك) ؟

وهل هكذا يعامل أحمد مظهر ...
فلازال عبق ال ٣ خمسات يفوح فى الأرجاء ..
أليس غداً هو العيد ؟...

وهل هذا يتماشي مع (ياليلة العيد آنستينا) ... التي تملأ جنبات البيت من صباحية ربنا وبتتعاد خمسين مرة

... آنستينا فين بقي ... إذا كانت ليلة العيد بدأت بالدحرجة وستنتهي ب (لف ورِيني قفاك)...

ولا تهتم أمي بكل هذه المهاترات ... فبعد معاينة القفا ... والتأكد من مطابقته للمواصفات ... مع مراعاة طول القُصة ... تربت على كتف العبد لله ... قائلة .... (خش علي الحمام إقلع هدومك وأنا جاية وراك)...

إنها (حُماية العيد) ، أنا عارفها ، بكل تفاصيلها من أعمال السلخ والسحل تحت درجة حرارة ١٠٠٠ فهرنهايت مع التعذيب بحرقان العيون وصعوبة التنفس .

و ل (حُماية العيد) جذور ضاربة فى أعماق التاريخ ، فقد كانت أحد وسائل التعذيب أيّام النازي ، خاصة حينما تقع عيناك علي الليفة الجديدة والتي تشتري خصيصاً لهذا اليوم المشهود ...

فتلك الليفة ذات الحجم العائلي لَم تكن تقل في أبعادها عن تلك الليفة التي إستخدمها سميرغانم في مسرحية المتزوجون ... ولكنها تعطي نفس إحساس مبشرة البصل المعدنية المعلقة فى مطبخ أمي ... حين تهوي فوق الجلد فى حركاتها الرأسية والافقية المؤلمة... آكلة طبقات من الجلد المشوي من فوق جسد العبد لله ...

تبدأ البرطمة والزن رافضاً أن يساعدك أحد في الإستحمام وخاصة في تلك الليلة ، مطلقاً كلمات فيها محاولات للخلاص من تلك المحرقة...

محدش حيحميني ...
انا بقيت كبير ....
انا عندي ٩ سنين ....
انا ما باقعدش علي الخشبة عند الحلاق ....

وعلي الطرف الاخر تجد تلك الحالة من اللامبالاة كما عشماوي عند تنفيذ أحكام الإعدام.. إلا من جملة واحدة :
.... (لو مكسوف إلبس شورت) ، حاحميك يعني حاحميك.... عشان تلبس بيجامة العيد الجديدة....

نعم ، فقد كان ضمن الطقوس أن ننام ليلة العيد في البيجامات الجديدة ... مع غيارات داخلية جديدة وأهمها الفانلة أو الفالنة... والفانيلا هو إسم شركة صناعة الفالنات ... والتى اصبحت (جيل) فيما بعد .

ماهذا الظلم والإذلال ؟
وما الفرق بين ما سأفعله وما سيفعلونه بي ...
غير أني سأعامل نفسي ككافة البشر بكثير من الرقة واللين ...

أعلم تماما كل ما أنا مقدم عليه ... فهي التهلكة
ولن تفلح أي محاولات للفرار من تنفيذ حكم بات ونهائي ..

في النهاية تخطو في إتجاه الحمام ... كمن يخطو في إتجاه المقصلة ... إنه ذَلك الإحساس بالثقل في الخطي وعدم القدرة علي المشي .

(٤)

وما أن يدخل العبد لله من باب الحمام حتي تجد (بستلة) المياه الساخنة ... وكافة أدوات الذبح والسلخ ....
الليفة ال ٧ راكب ...
... صابونة نابولسي شاهين المتحجرة بزيت الزيتون...
... صابونة بريحة ...ماركة سلايت ... وإسمها أصلاً «صن لايت» ...
... الكون الألمونيوم وصديقه طشت التبريد ...

فتصرخ مستجيراً ...
ليه السخان منش شغال ؟...
فقد كنّا من الأغنياء ... الذين يمتلكون سخان المصانع الحربية (سين ٧) ... الذي لا يعطل ويساعد على الإختناق ... فتكون الإجابة المعتادة (الجلدة بايظة) أو (الأنبوبة فاضية) .

نعم إنها المؤامرة ... والنية المبيتة لكي تتم عملية السلخ كما قال الكتاب... كما لو كانت مياه السخان لا تكفي حرارتها في إزالة طبقات الجلخ فوق جلد العبد لله ، حتي لو كنت قد إستحممت بالأمس .

وتبدأ عملية السلخ بصب ماء جهنم فوق الجسد النحيل...تتبعها تلك الحركة الأفقية للصابونة فوق الليفة طويلة التيلة حتي تتشبع من عبق وعطر ورغوة الصابونة السلايت ... فقد كانت صابونة نابولسي شاهين بزيت الزيتون لغسيل الشعر فقط ... فلم نكن نعرف الشامبو إلا عند بلوغي الثانية عشر .

تهبط الليفة العملاقة فوق جسد العبد لله في واحدة ولا أروع من عمليات السنفرة والسحق ... وتستمر الآلام من تلك مبشرة البصل المسماه جدلاً بالليفة... وصولا إلي طبقة ما بعد الجلد...وتتم عملية السنفرة بحركات أفقية ورأسية ... تأكل فيها الليفة ما يزيد عن عدة ملليمترات من سُمك الجلد... حتي يظهر اللون الأحمر الدموي ... وغالباً ما يكون الجلد قد إختفى ... وتلك هي لون دماء الشرايين المكتشوفة حأحد مؤشرات نجاح المهمة ...

و لا تخلو عملية السلخ من بعض الأوامر المعتادة لكل الأمهات ..
أرفع رقبتك ...
نزل رأسك ...
إرفع تحت بطاطتك ...
إيه بطاطتك دي ؟
ثم مين اللي سماها بطاطي؟
... منش عارف ؟ .

(٥)

تنتهي عملية السلخ والسنفرة ...

في خلال ١٠ دقائق ... تمر كالسنين ... تكون قد نلت كل صنوف التعذيب بخلاف حرقان العيون الذي تزول آثاره بعد صلاة العيد والإمساك بالعيدية ...
وتنتهي عملية السلخ بتنشيف الذبيحة وصولاً إلي مرحلة التغليف ... حيث يتم لف الضحية في مجموعة من الفوط علي نفس وتيرة التحنيط عند قدماء المصريين ... أو كما يكفن الجزار اللحوم المعلقة أمام باب المحل ... ثم يتم إحكام التغليف ... تحت حجة (عشان ما تستهوانش) ...
وما أن تخرج في شكل المومياء متوجهاً إلي غرفتك ... لإرتداء البيجاما الجديدة ... إلا وتسمع صراخاً يشق سكون الليل ...إنه صوت الضحية التالية... أو الذبيحة الثانية ... «سمها ما شئت» , فقد كانت تراعي الأقدمية فى الحموم داخل بيتنا العامر , فالحموم من الأكبر الى الأصغر ... طبقا للتقاليد .

إنه صراخ الذبيحة الثانية (أخي الأصغر) محاولاً الإختباء بعيداً عن الحمام ... وغالباً ما كانت تفلح طريقة الهروب والبكاء والترفيص والشحتفه في العفو عنه من التعذيب ...
ويستمر شقيقي الأصغر فى الجري فى الشقة دون توقف ... مطلقاً صراخ المعذبون فى الأرض ... وتجري أمي من خلفه ... مسلحة بكل نيران المدفعية من الشباشب الطائرة والزاحفة.... فينتهي الحال بوابل من الشتائم... يتبعها عبارة ...«خش إتنيل إستحمي لوحدك «... عشان تبقي معفن قدام أصحابك في العيد ...
غالباً ما أحسده ... فلقد أفلت من السلخانة عيداً بعد الآخر... بالشحتفة ... والترفيص ...والصراخ و الجري المستمر ... بينما لم أفلح في الإفلات من السلخانة بوجاهة أحمد مظهر وبأخلاق النبلاء.

أرتدى البيجامة الجديدة , وأحتضن الحذاء الجديد ... وأخلد الى النوم فى إغماءة ما بعد السلخ ... غير عابئ بذلك الصراخ القادم من الحمام ... وأغلب الظن أنه صراخ الضحية الثالثة ... فيما يسمى حُماية العيد ...بينما تستمر ام كلثوم فى ترديد تلك الاغنية التى لن يجوم عليها الزمن ...

ياليلة العيد آنستينا ،،، و جددتي الأمل فينا ،،،،، ياليلة العيد .

- تمت -

عين أعيان الطعمية

اليـوم وأثنـاء توصيلـي للمزغـودة الصغيـرة آخـر العنقـود بعـد علقـة التمريـن ... ثـم الـدرس مبكـراً ...مرنـا أمـام محـل الفـول والطعميـة الشـيك الجميـل ... فاليـوم يكـون إفطارنـا اليـوم إفطـار مصـري أصيـل ... «سندويتشـات فـول وطعميـة « ...

أمليـت الرجـل الطلبـات وإنفـردت لنفسـي بـزوج مـن سندويتشـينات الطعميـة بخـلاف سـاندويتش الفـول كباقـى أفـراد الأسـرة ... ولـم يطـل إنتظارنـا كثيـراً حتـي وصلـت السندويشـات فـى العيـش الشـامي الأبيـض الأنيـق .... كل سـندويتش فـى كيـس منفصـل وعلبـة الطرشـى الأنيقـة ...

وإذا بالمزغودة الصغيرة تسأل :
.... انت بتحب الطعمية قوي كده ليه ؟ ...
فقـررت أن أحكـي لهـا عـن علاقتـي السـرمدية بالطعميـة لأعـدد لهـا ولأتفشـخر بـكل البطـولات و الصـولات والجـولات التـي قمـت بهـا فـى عالـم الطعميـة...
فالعبـد لله قـد يصنـف عالميـاً علـى أنـه ... (عـين أعيـان الطعميـة) ... نظـراً لتلـك العلاقـة الأبديـة بينـي وبـين جميلـة جميـلات الأكلات المصريـة... ولتذوقـي كميـات مـن الطعميـة فـى كافـة أرجـاء القطـر المصـري بـل تجـاوزت إلـى المنطقـة العربيـة وبعـض مـن بقـاع العالـم ...

فالطعميـة سـحر مصـرى... لا أعـرف مـن أيـن أتـى إسـمها لكننـى أعتقـد أنـه مشـتق مـن مصطلـح (طعـام العامـة) إذا دمجـت الكلمتيـن مـع قليـل مـن التحريـف المصـرى الشـائع عبـر السـنوات سـتحصل علـى كلمـة (طعميـة). كمـا كتـب (عمـر طاهـر) فـي عشـق الطعميـة مـن قبـل ....

ويتفـرد المصريـين بكلمـة طعميـة بينمـا يسـمها العالـم كلـه بإسـم «فلافـل» ... وقـد خـان الإسـكندرانية العهـد وإنضمـوا الـى العالـم الغربـي ... فهـم يسـمونها فلافـل ايضـا ...

وبـدأت أقـص علـى إبنتـي علاقتـي بالطعميـة ... والتـى بـدأت منـذ الصغـر و انـا أقـف صغيـراً فـي العاشـرة مـن العمـر تقريبـاً فـى الطابورأمـام طاسـة (عّـم سـعيد الطعمجـي) ...

عّـم سـعيد الطعمجـي ... هـو ذلـك الرجـل الأسـمر الـذي يأتـي ولمـدة سـاعتين كل يـوم ... ليحتـل مكانـه المتميـز فـى شـارع ١٨ بجـوار مكتبـة عـم عراقـى ومواجهـاً لعاطـف

الخضري ... المورد الرئيسي ... لكل مكونات طعمية عم سعيد ... فيضع ترابيزته الصغيرة وطاسته الشهيرة الكاحلة السواد والتي تعلو وابور الجاز ...

ويبدأ عم سعيد فى عمل أجمل طعمية على وجه الكوكب... وغالبا ما لا يرحل إلا حين ينتهي ماليه من عجينة ... فتكون من المحظوظين اذا ادركت قرطاساً به عدد محدود من أقراص السحر ...

لذا كان الطابور يتشكل من لحظة وضع الترابيزة ... وقبل التجهيز لتضمن قدراً من حبات الجمال الذهبية قبل أن تختفي ..وغالباً مايبدأ عّم سعيد في عزف أول طاساته فيما بعد صلاة العشاء , فقد كان موظفا ويمارس هواية عزف الطعمية بعد العشاء ...

وما أن يبدأ عّم سعيد فى إشعال الوابور حتي يتشكل ذلك الطابور من العشاق... لتري كل منهم شاهراً ذلك القرطاس من ورق الجرائد ، واقفاً متحفزاً ومتابعاً لمهارة عّم سعيد بجوار طاسة القليّة....

فعم سعيد ... ذلك الغزال الاسمر الذي ينتقل بين طاستة وبين العجين بخفة ومهارة ... معتصراً العجينة فى يده اليسرى ... لتنتج كرات من الطعمية (القماطي) ليقذف بها باليد اليمنى داخل الزيت لتخرج ... ذهبية اللون مقرمشة من كل النواحي , هشة , رائعة الطعم .... من بعد رشة الكسبرة والسمسم التى يلقي بها ما أونة لأخري فوق العجينة

(٢)

لم يكن عم سعيد يصنع الطعمية من الأقراص إلا بالطلب ولعلية القوم من سكان المنطقة ... وخاصة قرص الطعمية المحتشية بخلطة النشطة الرائعة ... ودائما ما يرضخ عم سعيد لطلبات طابور المحتشدين الراغبين فى الطعمية الحراقة.... فيلقي بقرنين من الفلفل الحامى داخل الطاسة ليشيع ذلك الطعم الحار المستساغ فى أوصال الأقراص الذهبية ....

ولعم سعيد نظرة المحنكين ... حين يلمح حبات الطعمية قد إقتربت من اللون الذهبي الشهير ... فيقرر عم سعيد أن يمد يده بالمغرفة السلك الشبيكة الموشحة بالسواد لينتقى بها الحبات إلى وصلت اللى مرحلة القرمشة ... ثم يخبط بتلك

المغرفة حرف الطاسة لتصفية الزيت بإقتدار .... ملقياً إياها فى المصفاة فتتخاطفها الأيدى.

وهنا تبدأ مرحلة مابعد الغنيمة ... فما أن حصلت على قرطاس من الحبات الذهبية ... فلا ينقصك إلا نصف رغيف بلدى طازج أو رغيف كامل إذا كنت من هواة الرغيف المبروم ...
فتلقي بتلك الحبات الذهبية الصغيرة متراصة داخل الساندويتش ومن خلفها طرنشة طماطم ، يغلفها رشة دقة من بتاعة عم سعيد ...

ولدى عم سعيد طبق أبيض من الصاج المطلى ...هو طبق الباذنجان ... والطماطم المخللة ... وبرطمان مخلل اللفت بعروشه ... وما أدراك بباذنجان عم سعيد ...

فالباذنجان المقلي المخلل ... فحدث ولا حرج ... فتحصل عليه إما داخل قرطاس من ورق الكراسات أو في طبق صغير... و يمنحه عم سعيد لمن يرغب في اللحاق بسخونة الطعمية مختلطة بطعم الباذنجان ... ولن يستطع صبراً حتي الوصول بها للبيت ...

فذلك المزج بين نعومة الباذنجان وقرمشة القشرة ... هو سر الأسرار فى حد ذاته ... إضافى إلى ذلك الخلط الغريب بين الثوم وقرون الفلفل الخضراء المطحونة .. والمذابة فى قليل من الخل ..

تلك الخلطة العجيبة والتى يطلق عليها (الدَقة ... بفتح الدال) لتختلط بطعم الباذنجان الطري المسكر..وتجعل من الباذنجان ... عطر المذاق ... ليصبح شريكاً لكل الاكلات المصرية يتقدمها الطعمية وتليها الملوخية ... وضيف الشرف على كل الموائد المصرية .

وللباذنجان صنعة ... من مرحلة الإنتقاء... فكلما تم إنتقاءه صغيراً فى الحجم ... كلما كان أجمل فى إحتفاظه بالحشوة ... وأكثر جمالا حينما يأكل على مرة واحدة ...

وكان من روعة باذنجان عم سعيد .. هو إصراره على إنتقاء ذلك الحجم الصغير من الباذنجان ... فلا يزيد طول حبات الباذنجان فى طبق عم سعيد عن طول الإصبع ... وأغلب الظن أن سندويتش الطعمية المجاني لعاطف الخضري ... هو السر فى

انتقاء ذلك الحجم الضغير من الباذنجان....

وكان البعض يكتفون بعمل سندويتشات باذنجان فقط ... كقطع متراصه فى رغيف الفينو أبو سمسم من الفرن المجاور ... إذا صادف و جاء أحدهم متأخراً ... فلن يلحق بأي من الاقراص الذهبية ... فيكتفي بسندويتش الباذنجان .. أو على سبيل التسلية حتي يحين دوره فى إختطاف نصيبه من طعمية عم سعيد الذهبية ... بل وكان البعض ومنهم العبد لله يأكل الطعمية (حاف) بلا خبز على سبيل القزقزة من فرط روعتها ...

(٣)

وأسهبت لابنتي ....

أن عند المصريين هناك فرق كبير بين (الدُقة والدقَة) ولافرق يكمن إلا فى تشكيل حرف (الدال) وهو فرق كبير فى التحضير والطعم والمذاق ...

فالاولي وبضم الدال... هي خليط من ملح وكمون فى بعض الأقاليم ... ويزاد عليها البهارات فى أقاليم أخري ... و فى بلاد الشام تخلط بالزعتر والسوماق.. كدُقة الحرم النبوي الشهيرة ...التى أدمنها من بعد العُمرة..... ولكن عند عم سعيد كانت تحوي سراً الطعامة الذي عرفته فيما بعد ..

فعم سعيد كان يحتفظ بنوي المشمش في الصيف ... نعم ... تلك البذرة المتبقية من المشمش بعد الأكل ... فيدق على تلك القشرة الجافية... ليخرج تلك البذرة التي بداخلها ... فيحمصها... ويطحنها... ويخلطها بالملح والكمون وسنة الشطة لتصبح دُقة عم سعيد المميزة... والتى تعامل معاملة المخدرات ...

و عم سعيد رجل ديموقراطي عادل فى كل شئ إلا الدقة ... فهو يعبئ الدقة مسبقاً فى قراطيس صغيرة من ورق الكراسات الابيض ..و يضعها داخل قرطاس الطعمية بنفسه ...

فحين تأخذ القرطاس المخصص للطعمية ... تجد قرطاس الدُقة مستقراً بأسفل القرطاس ...ولا يجوز للجمهور أن يحصل إلا على قرطاس لكل قرطاس ... أو قرطاس لكل مواطن ...

ومـا أدراك حـين تسـقط تلـك الرشـة مـن دُقـة عـم سـعيد فـوق طرنـش الطماطـم الراقـد محتضنـاً تلـك الاقـراص الذهبيـة ... أو أن تحتفـظ بالقرطـاس الصغيـر ... لتـأكل بـه سـميطة فيمـا بعـد ...

أمـا عـن الدَقـة بفتـح الـدال ... فلهـا فـي مصـر صـولات وجـولات ...ولكـن تتميـز دَقـة الباذنجـان بحالـة مـن الإمتيـاز ... فهـي خضـراء فـى مناطـق وحمـراء فـى مناطـق أخـري ...

وهـي ذلـك الخليـط مـن الثـوم والفلفـل الاخضـر أو الأحمـر مذابـة فـى قليـل مـن الخـل ... والتـى تسـقط داخـل ذلـك الشـق الطولـى الـذي يحـدث فـى حبـة الباذنجـان ... قبـل التحميـر ...

ليحـدث ذلـك التمـاس فـى الزيـت المغلـى مسـبباً قرمشـة داخليـة ناعمـة لتجعـل مـن الباذنجـان أسـطورة تحكـي عنهـا الأجيـال ...وتختلـف دَقـة الباذنجـان عـن دَقـة الكشـري بأنهـا أكثـر تماسـكاً وأقـل فـى كميـة الخـل .....

وللطعميـة حالـة مزاجيـة مرتبطـة بحالتـك الإقتصاديـة ... فقـد تأكلهـا فى حالـة الإفلاس برغيـف أسـمر .. أمـا إن كانـت الدنيـا مبشبشـة معـاك ... فسـتتحف نفسـك برغيـف مـن العيـش الفينـو السـاخن أبـو سمسـم ... شـريطة أن يكـون سـاخناً ومـن فـرن يصنـع الفينـو فـي الصـاج الأسـود الكالـح ... ومـن حسـن الطالـع أن ترابيـزة عـم سـعد كانـت علـى بعـد خطـوات مـن الفـرن ..

فتلـك الصيجـان السـوداء الكالحـة تمنـح الرغيـف طعمـاً مابـين العشـق وجمـال القرمشـة فـي البدايـة والنهايـة... وأسـتحق ذلـك الرغيـف الفينـو أن يطلـق عليـه الرغيـف ذو الزلمكتـين...

ففـي أحضـان الرغيـف الفينـو السـاخن أبـو سمسـم... تسـتلقي قطعـة الطماطـم البـاردة المغلفـة برشـة الدقـة ... ومـن أمامهـا أقـراص الطعميـة متراصـة ... ويجـوز أن تضيـف حزمـة مـن الجرجيـر الـورق مـع قطعتـين مـن مخلـل اللفـت أبـو عروسـه .. لتبـدأ فـى أول قطمـة مـن الرغيـف الـذي لايجـوز تقسـيمه إلـي نصفـين لتسـتمتع بقرمشـة الزلمكـة فـى البدايـة والنهايـة .. فهـو حقـاً ... الرغيـف ذو الزلمكتـين.

(٤)

ويأتي كوب الشاي المظبوط في مقدمة مشروبات الدعم التى تستعين بها على البلع .... فرشفتين من كوب شاي (شيمتو) بتاع التموين... بالدنيا وما فيها ... من بعد أو اثناء قطمة من الرغيف الفينو المحشو بالطعمية والتى تتجلى خاصة عند قطمة الزلموكة ... فشاي (شيمتو) يتميز بزيادة نسبة نشارة الخشب والتي تعطي نكهة رائعة ... فيصبح المزاج عال العال ...

ومن بعد الرشفة الثانية ومع بداية الدخول في النصف الثاني من الرغيف أو الرغيف الثاني ... وفقا لحالة البشبشة تشعر بحالة من الهدوء والسكينة ... فلا تدري أهو تاثير الطعمية أم نوع الشجر الذي صار نشارة في شاي التموين .

وللصداقة فى حب الطعمية أقدار ومن أقدارها أن يكون صديقك الصدوق (مسيحي) ... فيكون قدرك أن تعيش أنت وهو وطاسة عّم سعيد ومن بعدها محل اضواء العالم في تريومف في حالة من العشق لنصف العام تقريباً لكونه صائم .... لنصف العام ويزيد .

وكان لصديقي ميلاد نفس الهواية والعشق بل كان يبدع أحياناً بإضافة مخلل لفت بعروشه لتلك الوجبة ... إمعاناً في الإنتفاخ ... فتتكون لدينا بعد الأكل كل أحاسيس منطاد زبلن من سمو وإرتفاع.

ودخلت بنا هواية الطعمية إلى مرحلة الإحتراف ...
إنها الهواية الغريبة ... فهناك من يهوي جمع الطوابع والعملات ...لكن هواية تذوق الطعمية ... كانت هواية منفردة يتميز بها العبد لله ورفيق القدر .. ميلاد ...

صرنا أنا وصديقى من هواة تذوق الطعمية في بر مصر... بل وصرنا نبحث ونكتشف عن صانعي الجواهر من الطعمية فى كافة إنحاء مصر المحروسة...

(٥)

فمن ترابيزة عّم سعيد في شارع ١٨ وصولا إلى طاسة « أم ماهر»فى الحلمية إلى طاسة «الست شفاعات» في باب البحر ... مرورا بطاسة «سيد الديب» فى شارع جاويش ومنها إلي طعمية «محمد ادريس» فى الزقاق المتفرع من شارع شريف .

وجنوباً ساقنا الترحال الى طعمية «الشاوينش « في شارع البازارات فى أسوان ... و مطعم «طه» فى رشيد والذي يستبدل كلمة طعمية ب (طع١٠٠) ... وله الحق فالمحل عمره ... مائة عام ....
ووصولاً إلي قنا الحبيبة ... حيث واسع الشهرة ... نوارة السوق الفُقاني ... «عم خميس أبو أحمد» ... والذي يعلو محله (طعمية) خميس ... فهو علم من أعلام قنا ... وطابور الصباح عنده أطول من طابور الصباح فى المدرسة المجاورة ... وهو من الصناع المهرة ... ومحترفاً لدرجة انه لا ينظر الى العجينة أو المقلاة ويصنع الاقراص بيد واحدة ... ويطلق على نفسه صانع كتاكي الغلابة .

وفى طنطا كانت طعمية «ختعم « أجمل من طعمية «البغل» رغم شهرته الواسعة ... وكانت التجربة أكثرمن رائعة لدى «أمير» صاحب أشهر عربيات الطعمية فى حوارى عابدين ...فلهذا الرجل طعمية كما طعمية عم سعيد بعد الإعتزال , وكان يتميز بسرعة غريبة فى صناعة الطعمية القماطي ...

ولم تعجبنا طعمية طبانة ... فى قبلي بالمنوفية فكانت قاتمة مكتومة ... بينما تميز الفول عن الطعمية عند علي رجب خلف سونستا في مدينة نصر , و أصبحت الطعمية تجارية بلا طعم عند التابعي ..

ولم تكن الطعمية المصنوعة بالمنزل تستهوينا , حتي لو كانت العجينة من أفضل المحلات ... وربما للموضوع حكمة .. كحكمة الكشري ...

فمهما فعلت سيدات البيوت من تجويد في صناعة الطعمية أو الكشري داخل المنزل ... تبقي طعمية وكشري الشارع هى الأفضل على الإطلاق ... فهى باب رزق لكل طيبى الذكر من صناع الاقراص الذهبية ..

وأنتقلت بنا هواية التذوق الى العالمية ... فصرنا نبحث عن الطعمية فى كل بلد زرناها ، فقد تذوقت الطعمية في عديد من الدول ولكنها تختلف عن الطعمية المصرية بمسافات تتجاوز المسافات بين المجموعة الشمسية.

وبين جنبات الطعمية تكمن وطنية مصرية خالصة ... فقد إنتابتني الغيرة حينما ذهبت الي صديقي مصطفي وهو صاحب أشهر عربية فلافل علي ناصية شارع برودواي مع الفيفس أفنيو في نيويورك... لأجد محلاً كبيراً في الناحية الأخري

تعلـوه يافطـة مكتـوب عليهـا **Israelian falafel** .

لأقـول فـي سـري يـاولاد ال..تيـت... حتـي عّـم سـعيد سـرقتوه... بـل وقـرأت أنهـم مـن إبتكـروا الطعميـة ... بـل ويضيفـون أنهـا الأطعـم والاشـهر علـى الإطـلاق ...
... من إمتي ؟
... ده وابـور الجـاز بتـاع عـم سـعيد ... أو يافطـة عـم طـه فـى رشـيد ... عمرهـم أطـول مـن عمـر تاريخكـم ... يـا ولاد ال....تيـت.

ولقـد تذوقـت الطعميـة الشـامية ... والتـي أسـتبدل فيهـا الفـول بالحمـص فـى مصـر وفـى أكثـر مـن بلـد ... فلـم أجدهـا بتلـك الروعـة التـى يحكـوا عنهـا ... فتلـك الفلافـل ... تعطيـك إحسـاس الـلا شـبع ، عـل الأقـل ومـن وجهـة نظـري... فهـى فلافـل وليسـت طعميـة ..

ومـن العـادى أن يأكلونهـا بـاردة , ويصنعونهـا بتلـك الآلـة اليدويـة النحاسـية الصغيـرة التـى تنتـج أقراصـاً مسـتديرة متشـابهة كمـا أقـراص فيتامـين سـي الفـوار ...

وتذوقـت فلافـل الأردن مـن أيـدي مصريـين ... فلـم تكـن بذلـك الطعـم أو المـذاق المتميـز الـذي تمتـاز بـه الطعميـة المصريـة .... وفلافـل حِمـص أحلـي مـن فلافـل الاذقيـة فـى سـوريا ..

إلا فلافـل العـراق ... فهـي كالطعميـة الشـامية ولكـن يختلـف طعمهـا ... مـع مـا يوضـع فـوق الرغيـف المبـروم مـن العمبـة العراقيـة الذيـذة، وتعمـل كسندويتشـات (لفـات) فـي خبـز يسـمي الصمـون الحجـري العراقـي اللذيـذ ...

أمـا طعميـة السـودان فنـادرة ... وهـي كالطعميـة المصريـة ولكـن يزيـدون النشـطة بكميـات وفيـرة ...أمـا عـن فلافـل لبنـان فهـي بنـت نـاس زيـادة اللـزوم.. والقـرص عامـل نفسـة إبـن نـاس ولا بيحـوق ولا بيلـوق...

فـي النهايـة إسـتلمت السندويتشـات الأنيقـة مـن أرابيتـا لأتنـاول إفطـار نظيـف بـلا طعـم ... لأجـد نفسـي مترحمـاًعلـي ترابيـزة عّـم سـعيد ... بطعميتـه وبتنجانـه .. وقراطيـس الدُقـة الديموقراطيـة ..

وعلـى إبتسـامة الحاجـة شـفاعات فـى بـاب البحـر وهـي تمنحـك القرطـاس مبتسـمة ...

حين تضيف قليل من البطاطس وقطعة باذنجان ... مادة يدها بالقرطاس ... تصحبه تلك العبارة الجميلة .... ألف هنا ...

وألتفتت إلى إبنتي لأستطلع رأيها فيما كنت أستحق لقب (عين أعيان الطعمية) ... لأجد تلك الصغيرة المجهدة بعد الدرس والتمرين قد راحت فى ثبات عميق .....

- تمت -

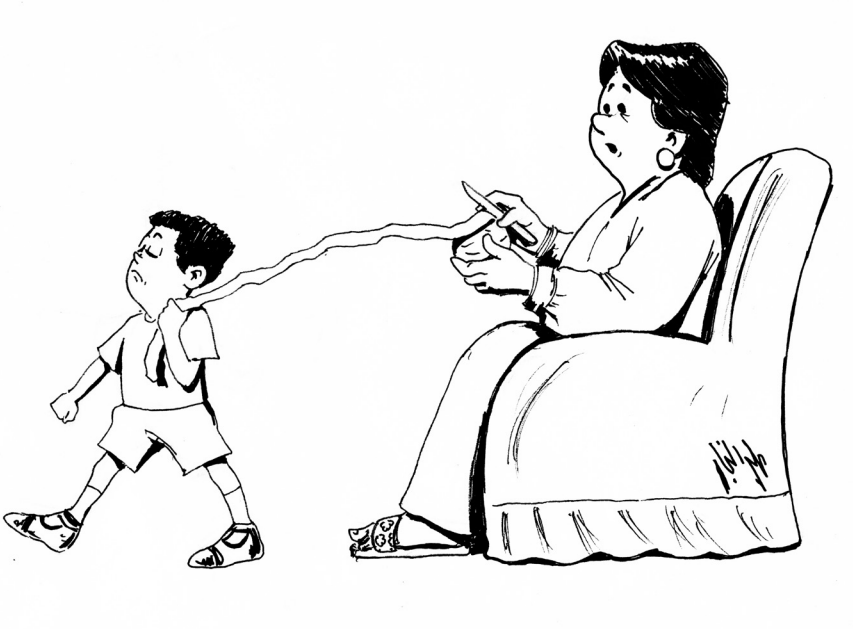

آقشر لك برتقالة يا حبيبى

مع حلول فصل الشتاء يقع العبد لله في عشق البرتقال (البلدي)..... والبرتقال البلدى ومن خلفه البرتقال أبو صرة ... يعتبران من التقاليد القديمة لبيتنا العامر في إتقاء أمراض الشتاء .... بل و أعتقد أن رائحة البرتقال تسود كل البيوت المصرية وقت الشتاء ...

وغزارة فيتامين سي فى البرتقال هي أحد المعتقدات الراسخة فى رأس أمي ...ولم يكن كثرة البرتقال... أو موضوع فيتامين سي محض الصدفة... بل كانت المدخل لتبرير أحد طرق التدبير وتوفير المصروفات لدي ست الحبايب.
فبحديقة منزلنا العامر كان هناك شجرتان... شجرة جوافة , وشجرة برتقال ...ونصف شجرتان بالشفعة
نعم.. نصف شجرة التوت المزروعة فى بيت عم إسكندر جارنا و التي نمت وترعرعت وأصبح نصفها فى حديقة منزلنا ولا يفصلنا عنهم غير هذا السور القصير ...والنصف الآخر لشجرة مانجو لجارتنا أم وفاء ... والتى يصعب علينا نحن الصغار قطف المانجو منها .. فقد كانت تعد المانجو الواقع ناحيتنا فى بداية كل موسم ... ثم تهدينا حبات من المانجو بالعدد ... ثمرة لكل مواطن عندما يحين موعد قطافها .
وبمبدأ التوفير .... ظلت الجوافة هي فاكهة الصيف .... والبرتقال هو فاكهة الشتاء ... إلا من بطيخة تأتي تحت إبط ابى فى فترات متباعدة أو كيس من المشمش حين يأتي أوانه... بخلاف نصيب الشفعة من التوت من نصف الشجرة الواقعة فى زمام حديقة بيتنا العامر ... وحينما ننادى على ناجي إبن الجيران ليصعد الى الشجرة ثم يقوم بالتنطيط ... حتي تهتز الفروع ويسقط التوت فنجمعه فى أطباق .

وكان جمع البرتقال من فوق الشجرة هو هواية أخى الأصغر ... بينما لا تكتفى أمي بأن تحصل على البرتقال كثمرات فقط ... فقد كانت تحقق أقصى إستفادة من الشجرة .. كأن تنتقى بعض الفروع الخشبية الصغيرة الجافة .... ثم تكسرها وتضعها فوق الفحم..فتشتعل تلك الفروع الخشبية المحترقة أروع رائحة بخور برائحة البرتقال ... وخاصة بعد قلى السمك وأيام غزوات محشي الكرنب ... التى تترك رائحة يصعب مغادرتها للمنزل ولا بالطبل البلدى .

أما عن شجرة الجوافة ... والتى كانت تعتبر بالنسبة لأمي ولجدتي ولبعض الجيران بمثابة الصيدلية ... فبخلاف تلك الجوافة البناتي الصغيرة الجميلة الطعم ... فأوراق شجرة الجوافة تغلي في الماء ليخرج منها شراباً إذا ما خلط بمعلقة

عسل ... لأصبح طارداً للكحة ....و يوصف لعلاج البرد إذا ما رافقه صفحتين من جريدة الأهرام مدهونين بالزيت فوق صدر المريض مرتين يوميا ... أو مدهونة بالخل كخافض للحرارة .

بينما كانت تشيع أمي عن جدتي الثانية عشر .... إعتقاداً بأن مزارة البرتقال البلدي.... هي لكثرة فيتامين سي ...وأن ذلك الرزاز الذي يخرج من البرتقال والليمون عند التقشير .... هو أفضل دواء للعيون .

ومن التقاليد أن تبدأ عملية أكل البرتقال بالتقشير .... ومن ثم (الدس) قهراً ..فتجد نفسك مجبراً ... ومازلت طفلاً علي الإنتقال من مرحلة التعاطي (قهراً) ... إلي مرحلة الإدمان .... هذا حين كنّا صغاراً ... ولكن في مرحلة الكبر وحين نصبح آباء ... تصاحب البرتقال عبارات متكررة تبدأ من ... إبقي هات برتقال وإنت جاي ... وصولا إلي...عدي الفكهاني وهات فاكهة .. وبالمرة هات معاك برتقال.

.... وبالمرة هات معاك برتقال ؟
ما هذا الجفاء والتقليل من قيمة البرتقال وسط الأوساط الراقية ... إنها تلك العبارة القاسية .. فى حق البرتقال... بعد أن جار عليه الزمن ليصبح في ذيل قائمة الفاكهة... إنه البرتقال الذي يؤكل ويشرب ويصنع منه المربى ... إنه البرتقال ... الذي كان متربعاً علي عرش الفاكهة في السبعينات والثمانينات... (قبل زمن الكاكا والكيوي).

وعودة إلي متلازمات البرتقال ...فهناك عبارات جميلة تصاحب عملية تقشير البرتقال والتى تبدأ عند سحب طبق البرتقال, ثم المبادرة بالسؤال الجميل ... تأكل برتقال ؟... أو أجيبلك برتقال ؟... أو اتفضل برتقال ؟... و يصطحبها إستلال السكين الصغير والتقشير قبل السؤال ...
وكلها عبارات جيدة ... لكنها منقوصة , فهي لم تشمل العبارة الأهم وهي (أقشرلك برتقالة) ؟

نعم ... أقشرلك برتقالة يا حبيبى ... تلك العبارة التي إختفت برحيل (أمي) ...
فهي الوحيدة التي تدرك حجم الفشل الزريع لإبنها البكري حينما يحاول تقشير البرتقال ...أو كتعليق أبي الدائم كلما شاهدني أبادر بالتهور فى محاولة تقشير برتقالة ...مرددا جملته الشهيرة
... خللي أمك تقشرلك برتقالة ...

... إنت بتخللي البرتقالة تسب الملة ؟

كانت أمي دائماً ما تنطق العبارة الصحيحة المتناسبة مع العبد لله... تلك العبارة التى تنهي تجارب الفاشلة و الغير مشرفة في حق البرتقال بالرغم من ذلك العشق

أقشرلك برتقالة ... عبارتي المفضلة التى حرمت منها برحيل الخبيرة الألمعية فى تقشير البرتقال ..

نعم كانت أمي كسائر الامهات ... محترفة فى تقشير البرتقال .... ولطالما كنا تعجب حين تنتهي من تقشير البرتقالة ... ثم تضع القشرعلى الطاولة ليشكل شكل البرتقالة مرة ثانية ...

أو حين يكون بال أمى أكثر طولاً ... فتحضر تلك الشمعة الصغيرة ... لتضعها وسط قشرة الرتقالة ... فيتحول قشر البرتقال إلى فانوس جميل بقدرة قادر .. مخلفاً رائحة جميلة ... من عبق البرتقال الذي يشيع فى أرجاء المنزل .

وللبرتقال مع العبد لله قصص ...فالعبد لله (فاشل) في تقشير البرتقال بكل أنواعه ... وأدعي ..أنه لو سمح للبرتقال بحق التقاضي... لكان العبد لله نزيل سجون... بأغلظ العقوبات ... عقاباً علي ما أفعله في حق البرتقال... فالفشل فى التقشير يجب أن أعترف به ... فالعبد لله فاشل فى تقشير البرتقال وتفصيص السمك ... فما أتركه فى السمكة يكفى ليشبع رجلين من بعدى ...

فحين كبر العبد لله كان ألادصقاء يندهشون حينما أطلب لنفسي ٤ سمكات , معتقدين أني أحب السمك ... بينما أنا فاشل في التفصيص ولا أحصل من السمكة إلا ما أستطيع تفصيصه ... نعم فاشل ... ولكن لا يمنع من بعض المحاولات بشرط ألا يكون هناك شهود على الواقعة ...

فعند محاولة إستخدام السكين في تقشير البرتقال ... يكون تقرير الطب الشرعي كالتالى :
ورد إلينا أحدى حبات الفاكهة والتى تبدوا عليها ملامح البرتقال ..مصابة بجروح قطعية عميقة ... مع طعنات متفرقة فى كافة أنحاء الجسد .. و نزيف حاد ... وتحتاج علاج أكثر من ٢١ يوم ... لتصبح جناية وليس جنحة.

نعم..فمحاولاتي لتقشير البرتقال ينتج عنها برتقالة مشوهة... ويجوز للبرتقالة من بعدها حق رفع قضية هتك عرض ... مع إحداث عاهات مستديمة بكافة أنحاء البرتقالة....
فيما أتخيل لسان حال البرتقالة تصرخ ... (ما تعصرني أحسن بدل المرمطة دي) ... وينتهي بها الحال إلي القمامة ... فبعد محاولات التقشير الفاشلة والتى تشوه شكل البرتقالة لدرجة أنها لاتصلح للاكل ... فلا توجد ملامح للفصوص علي الأقل .

وصلاً الي الطريقة الألمعية في التقشير... بإستخدام الملعقة كما علمني أبي ... حيث تبدأ تلك الطريقة بطعن البرتقالة .. طعنة غير غائرة فى منطقة الرقبة ... أو التغاضي عن الطعن بقرم رأس قشرة البرتقال ... موجداً فتحة تتسرب منها المعلقة.. لتبدأ في فصل القشرة عن البرتقالة... فى حركات مستقيمة ...
والغريب أن طريقة والدي فى التقشير بالملعقة ...كانت ناجحة حينما علمني إياها ... وهي عملية تتطلب مهارة لا يتمتع بها العبد لله ..
فحتي بإستخدام الملعقة تكون النتيجة برتقالة (مشوهة أيضاً) .... ولكن بطعنات متفرقة في جسم البرتقالة مع نزيف حاد وحالة من الدهولة والنتيجة (هردبيسة البرتقال) ... وفساد واحدة من قطع الملابس بعد كل محاولة .

منتهي الفشل ....
وأتعجب كيف كانت تخرّج البرتقالة من يد أمي مقشرة بعناية محترمة ... متماسكة، أنيقة ، محتفظة بكل تفاصيل الفصوص التي تخرج في هندام ، تاركة من خلفها ذلك الشريط الأرجواني اللولبي من القشرة ...فيخرج الفص أنيقاً معتزاً بنفسه ، مستقلاً بذاته ...لتجده مستقراً بكامله داخل فمك (فلم يكن من حق الفص أن يقسم عند أمهاتنا) ...
فالفص يدفس ليأكل في قطعة واحدة ...حفاظاً علي هندامه...مهما كان حجم فمك ...ولتختنق وتتنفس من أنفك بصوت عالي كمن يغرق...وفي الناحية الآخري تعتقد أمي أنه صوت التلذذ والمتعة في عشق البرتقال.

وصارت البرتقالة المقشرة فى الكيس النايلون رفيق السوبيتشات فى شنطة المدرسة , التى جعلت من كتبي وكراساتي رونقاً وطعماً متميزاً , دفعت ثمنه كثيراً , عند تفحص المدرسين لكراسات الواجب المنزلى .

رافقني هذا الفشل ولمدة طويلة ... وظل هذا العار ملحقاً بى حتي عندما يدعوني أحدهم للغداء ويصادف أن يكون الحلو برتقال , لأتحجج كالعادة بأن البرتقال ينحشر

بين أسناني ... بينما أظل كالمحروم مراقباً باقى المدعوين أثناء إبتلاع الفصوص الرائعة ..

وحين تزوجت .. أخفيت تلك الحقيقة عن زوجتي .. وأحمد الله أن أمي لم تنني بي أو تفضحني .. في سر تفصيص البرتقال ... بينما إنفضح سري فى تفصيص السمك .. فحينما أبادر بسحب سمكة من الطبق ... إلا وزوجتي تعايرني بتلك العبارة ... حاضر ... حافصلك بعد ما أفص لولادك ... لتأتي تلك الضحكة الخبيثة من المفعوصة آخر العنقود ... وهنا يكفيكوا شر فضيحة من هو مثلي ... أتهم بعتك عرض البرتقال أكثر من مرة .

وبصراحة ... كنت أمارس مهنة السطو ...فحينا أسطو على فصين متبقيين من واحدة من بناتي .. أو السطو علي فص أو فصين من برتقالة زوجتي ... فهي ماهرة كأمي في التقشير ...لتنظر الي مبتسمة و مطلقة الجملة الشهيرة (ما تقولي وأنا اقشرلك برتقالة ؟)...
فهي لا تعلم أن المتعة ليست في الطلب بل في العرض...وتحديداً طريقة العرض ...فهي تتبع نفس منهاج كل الأمهات حين تسأل بناتي (اقشرلك برتقالة يا حبيبتي)؟

لماذا لا يشملني هذا السؤال ...
فبالتأكيد أن كلمة... يا حبيبتي لا تشمل العبدلله فهى موجهة إلى المفاعيص الموجودين بالمنزل ...كما لو كان تقليد عائلي يتوارث بشرط أن يستثني منه الآباء... وحقيقة لم أري أمي تسأل أبي اقشرلك برتقالة ...و ربما لا تقولها لأنه ماهر فى تقشير البرتقال وليس فاشلا مثل العبد لله ...فحين نصبح آباء نعتمد على أنفسنا فى تقشير البرتقال ... ولا يجوز للزوجات أن تسألنا ... (أقشرلك برتقالة) فلقد ذهبت تلك العبارة أدراج الرياح حين ترحل من تعرف متي وأين تنطق بها ... وغالباً ما كنت أشتري اليوسفي فهو أسهل فى التقشير ويغني عن سؤال ال..... حريم .

وحشني البرتقال ووحشتني تلك المتلازمة (أقشرلك برتقالة يا حبيبي) ؟ بصوت أمي

رحمة الله عليك يا أغلي الناس .
قبلوا الارض تحت اقدام أمهاتكم ...فستشتاقون لتفاصيل توجع ... حين يأخذكم

الحنـين ...
وقشـروا البرتقـال لأزواجكـن ...فقـد يكـون منهـم مـن هـو فاشـل مثلـي ... وينتظـر سـماع تلـك الجملـة (أقشـرلك برتقالـة يـا حبيبـي) ؟ .... بـدلاً مـن تركهـم سـفاحين ومتهمـين بهتـك عـرض البرتقـال.

- تمت -

صديقي المسيحي

إنها الصداقة الجميلة الغير عادلة ... فقدرك أن يكون صديقك الصدوق مسيحي ...فهي صداقة غير عادلة بالمرة لعدة أسباب ...
أولها أنه سيكون مكتوبا عليك أن تعتبر الفول والطعمية والباذجان والبطاطس المحمرة وجبة رئيسية لنصف العام تقريباً كلما خرجتما سوياً لصيامه... وهو صيام يستمر لشهور عده ...
ثانيا إنه القدر... ففي مولد النبي ... يأتي دور الصداقة المرير المقدر على العبد لله ..فقد أصبح من المعتاد فى ذكرى المولد النبوي .... أن أشتري علبة حلويات المولد لكل أصحابى المسيحيين والتى تشتمل كل طلباتهم التنكة :

...عايزملبن حبل بعين الجمل

...لازم تكون سمسمية رفيعة

... هات الحمصية صغيرة ومقرمشة ومتبقاش ناشفة

...بلاش لديدة

...كتر من الفولية

... ماتنساش حصان حلاوة لمارك وعروسة لماري وهكذا ...

إنه القدر...

ودائما ما أسأل ؟...لا يشتري اصدقائي المسيحيين حلاوة المولد ...

ولكن أصدقكم القول ... لم أجد إجابة ... إلا أنه من الجميل أن أشتريها وأدخل بها على صديقي المسيحى .... فلو أشتراها لصارت حلويات عادية .... بينما لو إشتريتها لصارت حلاوة المولد .... إلا من ذلك الإحساس بأنهم يعشقون الود و العشم ... وبالمناسبة «والقافية تحكم « فلي صديق مسيحي جدع إسمه «مجدي عشم» وهو من هواة حلاوة المولد أيضاً .

.... فلحظة دخولي بعلبة الحلويات إلي منزل أحدهم تسوي الدنيا وما فيها ...فرحة الاطفال ... ولا جمال ضحكة طنط إيلين وعم أسكندر حينما أحضر لهما الملبن واللديدة .... مع تحذيرات ناجي من السكر .. أو ذلك الترحاب فى البيت العامر ,بيت المقدس نيقولا ,والد ميلاد ... صديق عمري الجدع .

ولكن الحق يقال ...فمع دخول رمضان وعند عودتهم من الدير ... يعودون بكل خيرات المزارع .. بل ولابد من لفة المشنبك من أكشاك الطريق الصحراوي ...

وخلال نهار رمضان ... تأتي الذكريات الحلوة ... حين تحدث حالات الخباثة ... فحركات الخباثة تلك , تعتبر من الطرائف التى لا تنسي خلال رمضان ..حين يتاورون بأحد الأجناب لخطف قطمتين من ساندويتش أو بقين شاي على الطاير ...

فيختفى أحدهم فى ظروف غامضة ... ثم يأتي من بعيد متخابثاً ... متعطراً برائحة القهوة والسجائر... وبسؤال المتهم يحلف أنه صايم معاك .....
وبتضييق الخناق على المتهم يعترف صارخاً .... أه شربت سيجارة وبُقين قهوة ... أيه كفرت ؟ ... والنعمة أنا مسيحي ...

ماليش دعوة ....فين الصداقة ...فين الأخوة ... ده أن بطني نشفت معاك من الفول والطعمية ؟...

(٢)

وإمعانا فى إذلال صديقي ناجي تحديداً ... فحين ضبطه متلبساً .... أظل أذكره بالعلقة السخنة التى حصلت عليها بسببه ...فحين كنا صغاراً ... كان ناجي يحب سندويتشاتي .. وكنا نتبادل السندويتشات فى المدرسة... إلا أنه كان يرفض سندويتشات الجبنة ... بينما يأخذ سندويتشات البطاطس ... مفسراً سبب رفض الجبنة بأنه صائم ....
وظل هذا الحال إلى أن أتي رمضان وأمسكت بي أمي وأنا أتناول البطاطس فى نهار رمضان ...
وحينما صرخت في : ...
إنت نسيت إنك صايم ..
فكان ردي.... لأ طبعا ... صايم ..
بس بآكل بطاطس زي ناجي ..
... وكانت علقة ...
عرفت منها أن هناك صيام للمسلمين وصيام للمسيحيين ... وظلت تلك العلقة ... مذلة لناجي كلما لمحت أن شفتيه مبتلتان فى نهار رمضان .

أما عن ناجي الذي ضبط ونحن صغاراً ... يصلي الجمعة بجواري مرتدياً الشورت ... فنبهه شيخ الجامع بأن الشورت لا يصلح للصلاة ... وكان رده تلقائياً .... مش مشكلة ... ما أنا مسيحى .... وظل شيخ الجامع ... يضحك ... محدقاً فينا ... ونحن نطلق ساقينا للريح ...

ودائماً ما تتذكر أنا وناجي ... صديق المصائب من الطفولة ... تلك الواقعة الطريفة ... التي حدثت فى إجازة صيف ١٩٧٠ تقريباً .. وكنا صغاراً فى سن الثامنة تقريباً... ودعاني ناجي للعب الكرة فى الكنيسة ... فقد كان الملعب الرملى جميل وكان

لديهم أكثر من كره (كفر) ... أي الكرة ذات البالون الداخلى ... والتى يلعب بها المحترفون بينما كنا لا نمتلك غير الكرة الشراب ..
و إصطحبنا عم إسكندر ... رغما عنه و إتقاء لحالة العياط والشحتفة التى ستحدث حينما يبادرون بفصلنا عن بعضنا البعض ... ووصلنا إلى الكنيسة المكتظة بالناس على غير العادة ... كما ذكر عم أسكندر والد ناجي وأيدته طنط إيلين أم ناجي ... بينما لم يعلق مجدى الأخ الأكبر لناجي ...

ودخلنا الكنيسة ... لتبدأ أحداث تلك الواقعة التى نذكرها دائما بأنها حادثة «القس الطيب» ... الذي إكتشف أنني مسلم ... وأجلس فى الصفوف الخلفية بالكنيسة .. لنلعب أنا وناجي بالنحلة الخشبية ذات السن المعدني المدبب والتى نلفها بالخيط بإحكام... ثم نسحب الخيط مرة واحدة لتدور حول نفسها في الارض ... لنسلي أنفسنا حتي تنتهي الصلاة ... ويفتحوا المخزن ويسلمونا الكرة الكفر .

وبدأت الصلاة بينما أنا وناجي نلهو بالنحلة الخشبية فوق متوارين خلف آخر مقعد بالكنيسة ... ولا يتوقف اللعب إلا أحياناً .... حين يردد الحاضرون تلك العبارة التى علمها لى ناجي ... (كيرياليسون)...والتى يرددها الحاضرون كل فترة أثناء صلاتهم ... فنرفع رأسنا لنردد معهم ... ثم نعود للإختباء تحت المقعد الخشبي للعب بالنحلة ... وعرفت فيما بعد أن (كيرياليسون) معناها «يارب إرحم» ...

ولسوء الطالع... سحب ناجي الخيط بقوة ... فقفزت نحلتة الخشبية من المقعد إلى الممر بين المقاعد .... بل وإستمرت فى الحركة والدوران حتي وصلت أمام القس الطيب ...
إختفينا تحت الكرسي ... إلا من (أي) المكتومة التى صرخ بها ناجي ... على أثر «زعدة « تلقاها من «مجدى» أخيه الأكبر الجالس بالكرسي الأمامي...
ظللنا فى حالة الإختباء حتي أنتهت الصلاة لنفاجئ بهذا القس الطيب فوق رؤوسنا ممسكاً بتلك النحلة الخشبية الزرقاء قائلاً :إطلعوا عايزكم ...
حينها إنهار ناجي ودخل فى نوبة من البكاء مردداً « معلش « و « معش حأعمل كده تاني يا سيدنا « ... بينما ظللت متامسكاً غير مبالى ... إلا حين أنفضح حالى حينما قلت للقس : «معلش يا عمو» هو ما يقصدش
إبتسم القس مردداً « عمو « .... إنت مسلم
فأجبته : « آه» وهو صاحبي
إبتسم القس قائلاً ... طب تعالوا ...
وصعدنا من تحت المقعد إلي الباحة أمام الكنيسه .... فكنا قد أصبحنا فرجة

كنيسة كليوباترا... فقد عرف أنني مسلم .... وأعترفت للقس الذي وضع يده فوق كتفينا بكل التفاصيل ... و بأنني أحضر مبكراً مع ناجي... ليتثني لنا اللعب فى اللعب بالكرة (الكفر)... ولم يكن مسموحا باللعب وقت الصلاة ... و أنهم يحتفظون بالكرة فى المخزن ...ولا أرغب فى الجلوس وحدي ... فلا مانع من الحضور ... برفقة النحلة الخشبية ... ذات الخيط .

(٢)

الغريب أن الراهب خفيف الظل... إبتسم وأخرج نحلة ناجي من جيبه وسأل ناجي... هل لديك (القطان) وكان يقصد الخيط ؟... وحينها إنهار ناجي باكياً مرة أخري ... فقد فقد النحلة والخيط معاً...مكرراً ... (مش حأعمل كده تاني يا سيدنا) ... وإذا بالراهب يربت فوق كتف ناجي ... بعد أن أخذ الخيط من ناجي ...

الغريب أن القس بدأ يلف الخيط بمهارة .... ثم ألقى بالنحلة فوق بلاط ساحة الكنيسة بمهارة المحترفين .. لفت النحلة بسرعة غريبة ... وسط تصفيق الحاضرين... فقد كان محترفاً فى رمي النحلة ...
وقال ضاحكاً ... فى بلدنا كنا بنسميها دبور ...
ثم ترك ناجي ... يمسك بالنحلة .... مربتاً على كتفه ...
ما تعملش كده تاني يا ناجي ...
وألتفت إلي قائلاً ... أنت يا أبني ... أبقي تعالى ألعب براحتك ... وأبقي صلي فى الجامع.

وحكي لنا عم إسكندر فيما بعد... أن هذا القس الطيب كان معتكفا لعشر سنوات فى أحد الأديرة ... وأنها كانت المرة الأولى التى يخرج فيها من العزلة ليصلي بالناس ... ولهذا كانت الكنيسة مكتظة بالمصلين ... وكان هذا القس الذي كان إسمه صعبا فى النطق ... فلا نذكره إلا بالقس الطيب... وقيل أنه ترسم بإسم البابا فيما بعد .... والعهدة على الراوي « عم إسكندر»

(٣)

وعودة الى المعذبون من أصدقائي المسحيين ...
فلا يوجد بالدنيا أجمل من... إن يتولي صديقك المسيحي قيادة السيارة طول نهار رمضان وانت نائم في الكرسي المجاور ... شبه مغمي عليك من نقص الماء

والقهـوة والسـجاير .

وحينهـا أتذكـر كل المشـاوير البعيـدة ... كمشـاوير لبـاب الشـعرية تشـتري طرشـي... فيعـود لينتقـم فـى اليـوم التالـى وفـي نهـار رمضـان... لمشـوار أبعـد... لرغبتـه فـي كيـس خـروب وكيـس تمـر هنـدي و لفـة قمـر الديـن عشـان بيحـب يأكلـه ناشـف أصلـه صيامـي .... طبعـا السـوبيا كانـت بالنسـبة لـه للفرجـة فقـط...

ولا أنسـي نظـرات الحرمـان مـن ناحيتـه... ونظـرات الشـفقة مـن ناحيتـي عنـد شـراء البسبوسـة التـى أعلـم أنهـا عشـق صديقـي المسـيحي ... الصـايم.... لأتحفـه بصينيـة بسبوسـة مـن أبـو حمامـة ...ليلـة إفطارهـم ...

أمـا عـن المواقـف المضحكـة ...ففـي عيدهـم يوجـه الدعـوة للعشـاء الفخـم بعـد العـودة مـن الكنيسـة وفـي النهايـة يعـود مـن الكنيسـة بعـد السـاعة الثانيـة صباحـا .. لنكـون قـد مللنـا وذهـب كلَ منـا الـى بيتـه... متعلـلاً (أصـل الزحمـة) ...وهنـا يخلـي طنـط إيلـين ... كانـت بتصبرنـا بسندويتشـات كبـاب حلـة...علـى أن يكـون إفطـار اليـوم التالـى ... لحمـة.

وإذا كتـب الله لـى الحـج أو العمـره ... فتكثـر المطالـب ...عايـز سـبحة وطاقيـة ودقـة مـن بتاعـة الحـرم ... وفـي العيـد الصغيـر ... تبـدأ طلبـات محتويـات علبـة الكحـك ...فمجـدى بـك ... يحـب البسـكويت النشـادر والبرتقـال ... وكحـك بالعجـوة ..بينمـا يحـب ميـلاد الكحـك المحشـو بالملـبن ... العجميـة

ولاد جـورج بيدوسـوا فـي الغريبـة ... أمـا مجـدي الآخـر فهـو إنجيلـي ومالـوش فـى الصيـام قـوي فيريـد كل أنـواع الكحـك بالسـمنة البلـدى وبايريـت تجيـب مـن المحـل الفلانـي ...

والجملـة الشـائعة .... البسـكويت ... كتـر مـن البسـكويت وبـلاش غريبـة عشـان صـايم ... طيـب ماهـو الكحـك بسـمنة يقولـك دي نقـرة ودي نقـرة .

طبعـاً وهـو راجـع مـن الصـلاة يـوم الأحـد لازم يشـتري كيـس فيـه دسـتة (قربـان) وهـي فطيـرة بتتـاكل مـع الجبنـة وكوبايـة شـاي بلـبن تبقـي حكايـة ...

نصيحـة مجربـة.... أوعـي تحـاول تحـط حتـة قربـان فـي كوبايـة الشـاي لأنهـا حتشـفط الكوبايـة كلهـا .

(٤)

لما صاحبك ينزل عليه الإيمان ويطلع زيارة للدير بوادي النطرون ... ويرجع محملاً بالفراخ والأرانب بحجم الديناصور ... وهو صائم فتأكل وتحكي له ... وتحب تسمع كلمتة الشهيرة ... بالهنا علي قلبكم...

حين تستر عليه في الصيام الصغير فسكره ينخفض أحياناً .... فيضرب فته ولحمة ويرجع البيت يتعشني معاهم بطاطس محمرة وهو عامل فيها برئ... عارف نفسك ؟

صاحبي اللي بيجيب فانوس رمضان لأولادي...
صاحبي اللي كان بيلم معانا فلوس زينة رمضان من البيوت واحنا صغيرين....
صاحبي المسيحي السنى الى كان بيفرش معانا السجاجيد فى الجنينة ليلة صلاة العيد ...
صاحبي اللي لما بنتي تعبت... أقام فى الدير لمدة إسبوع يصلي ويوقد لها شمع...

صاحبي ومراته اللي لما بنتي تعبت راحوا إشتروا مصحف وسبحة وحطوها فوق رأسها في المستشفي...

صاحبي المسيحي ابو عشرة العمر ، اللي دهنت معاه السور الحديد لكنيسة كليوباترا ...صاحبي المسيحي اللي كنّا بنبكي لما يفصولنا في حصة الدين ومش عارفين ليه ؟
صاحب عمري وقدري اللي ترسم قسيساً وتغير إسمه لأسم أحد القديسين ولازلت مُصّرا أن أناديه (بيشو) ... فيحمر وجهه ... بينما اضحك تلك الضحكة الشريرة المتقطعة.

صاحبي اللى إشتري دستة أعلام أيام الثورة ... وكان بيحرس معايا العمارة... ونزل معانا الميدان...

صاحبي المسيحي .... الجدع

- تمت -

أنا وعبد الناصر ... والجنيهات السبعة

الْيَوْمَ هو تاريخ ميلاد العبد لله الموافق الثامن والعشرون من سبتمبر... وقد أكملت الثامنة من عمري...
فاليوم صحو ... والصباح مشرق ... جميل ...
صحيان مبكر ونشاط ...
فلقد أتى اليوم المنتظر وهو يوم عيد ميلادى , ولكن هذا العام تحديداً لن يكن إحتفالاً عادياً , بل كنت أرتب له منذ اسبوع ليكون يوماً لا ينسي .
كان والدى يعمل بالكلية الحربية ... وكانت الكلية الحربية فى معسكر فى منطقة جبل الأولياء بالسودان ... وكان أبي قد أوصي أمي فى خطابه الأخير ... بأن تمنحني سبعة جنيهات لأشتري لوازم عيد ميلادي بالإضافة إلى تحقيق حلمي في شراء بنطلون (كاوبوي) وهو الاسم الذي كان يطلق على البنطلون الجينز خلال هذا الوقت بالثلاثة جنيهات المتبقة من العشرة جنيهات ... نفحة عيد ميلادى إجتهدت على مدار الأسبوع فى محاولات مضنيه لدعوة (ألفت) ... تلك الشقراء الصغيرة ,جميلة جميلات الفصل بل أجمل بنات المدرسة على الاطلاق .
وبعد العديد من المحاولات والرجاء لأم الفت ... وبوساطة من أبلة عبله مدرسة الفصل ... قبلت الأم ومن بعدها ألفت الدعوة ... بل وزاد العشم .. فوجهت الدعوة الى محمد زميلنا بالفصل , والذي كانت تجلس بجواره دون غيره أثناء الحصص وحتي أثناء الفسحة ...
ولم أبدى أي إعتراض ... بل ووافقت على الفورعلى دعوة محمد مردداً فى داخلى ... كله يهون مادامت ألفت ستحضر عيد ميلادى .
وبما أنني أكبر إخوتي (يعني البكري أو أول فرحة أبويا وأمي) ، فقد كنت أحظي بكثير من الإهتمام في هذا الْيَوْمَ.. و الذي تسبقه تحضيرات مني في دعوة أصدقائي وجيراني ... وكذلك المشوار المحبب الي قويدر لشراء تورته وجاتوه ولوازم عيد الميلاد من طراطير و زمامير .
كان من المعتاد فى بيتنا العامر أن يتلقي صاحب عيد الميلاد هديته حين يصحوا من النوم في صباح يوم ميلاده ... وبدأت تمطرالهدايا ... وإستبشرت أن تكون هدية أمى ...فاتحة خير لتلقي ما في النصيب من الهدايا ... فقد دعت أمي خالاتي وباقي العائلة لحضورعيد الميلاد بالإضافة الى اللفيف من الجيران.
كانت هدية أمي من النوع المفيد العملي كالعادة ... فلقد أهدتني مقلمة كاملة بها أدوات هندسية لمادة الحساب و الهندسة ...وكانت المقلمة من النوع الفاخر ولم يكن يهمني من كل تلك الأدوات إلا تلك الأستيكة (بريحة الفانيليا) ... إضافة الى البرايه المزينة بمرآة من الخلف... والتى كانت أحد مظاهر الوجاهة فى

مدرستنا ...
فأخيرا سأصبح من المنفردين الذين يزغللون عين المدرس علي السبورة , وتسببت فى تذنيبي نص يوم فى حوش المدرسة , فيما بعد... بينما أستغل محسن زميل الدكة فى الفصل فترة تذنيبي فأكل نصف الأستيكة معتقدا أنه (فونضام) .

(٢)

وفي ظل الهدوء الذي يعم الشارع فى تلك الساعة المبكرة من الصباح ... والعبد لله ذو الثمانية أعوام ينظر إلى الساعة منتظراً أن تصل الساعة الى العاشرة .. حتي يفتح محل الملابس أملاً فى شراء البنطلون الكاوبوي .... لتتمكن أمي من تقصيره ...إضافة إلى كم كبير من السرحان محدقاً فى السقف ... متصوراً شكل التورتة والجاتوهات ... وأين سأعلق الزينة ...
وفجأة شق سكون النهار الباكر ... صراخ جارنا الراجل البورسعيدي الطيب (عّم أحمد السرجاني) ... وجري الجميع صوب هذا الصراخ ... فإذا بعم أحمد السرجاني .. يجلس علي الأرض أمام منزله ويحمل التراب فوق رأسه وفِي حالة بكاء هستيري مطلقا صراخه ... مات حبيبنا. ..... مات الريس .
كانت بداية غير طيبة لليوم ....
مالذي حدث ... هل مات ناصر ... ردت أمي وهي تخبط صدرها ... ثم انطلقت فى البكاء ككل سكان الحي .. وجري الجميع نحو الراديو ... فإذا بتلاوة للقرآن الكريم ... ليصل بعدها صوت جلال معوض من التلفزيون وهو يشرح ويبكي لوصفه جموع المودعين فى الجنازة ... وتبكي أمي ومن حولها ...
فى ظل تلك الحالة من النحيب والبكاء ... ظللت متماسكاً ... و قررت أن أستمر غير مبالي ...فخرجت من شارعنا إلي شارع ١٦ محاولا فهم الموقف ، واضعاً يدي في جيب الشورت ليس من باب الوجاهه ... ولكن لأظل ممسكا بالسبعة جنيهات رأس مالي في شراء مستلزمات عيد الميلاد بينما بقيت الثلاثة جنيهات المخصصة للبنطلون الكاوبوي فى الجيب الاخر ... ولم يكن الحال في شارع ١٦ أفضل من شارعنا ، بل كان أسوأ ...
فقد تضاعف العويل والبكاء من رموز الشارع كعم أبو رضا ... وعم إسكندر ... وعم فاروق ... وكانت الطامة في عّم فاروق ... فهو من وعد بأن يصطحبني معه لشراء التورته والجاتوه ... طبقا لتوصية من أبي فى خطابه الاخير ... فقد أخبرتني زوجته , أنه ذهب لحضور الجنازة ... ملقية تلك القنبلة فى وجهي ... قائلة : ده وقت أعياد ميلاد يا إبني .... دا كل المحلات قافلة...

وإذ فجأة يمر من أمامي صديقي سيد بتاع الجرايد مطلقاً ساقيه للريح ... يجري في الشارع والنّاس تجري من خلفه محاولة الحصول علي نسخة من الجريدة .

مالذي يحدث ...
فقد إعتاد سيد أن يجلس بجوار جرائده ملكاً متوجاً عند ناصية الشارع ... وكنت أستغل تلك الصداقة في قراءة مجلات ميكي وسمير وتان تان والبرق مجاناً ... دون أن أقص الأوراق المتصلة ... في مقابل أن أساعده في فك أربطة الجرائد وإعادة ربطها اخر اليَوْمَ .

وناديت .. ياعم سيد ،،، ايه اللي حصل؟
فكان رده ،،،، عبد الناصر... مات .... عبد الناصر... مات

جمال عبد الناصر مات ؟...
طيب وانا مالي ؟...
طز في عبد الناصر ...
مليش دعوة ... أنا عايز أشتري تورته وأعمل عيد ميلادي.
هذا ما رددته باكياً بين أحضان أمي المفحومة من البكاء ... على رحيل جمال ....
فقد ضاعت كل الأحلام ، وتحطمت كل الخطط ، لعيد ميلاد أسطوري من وجهة نظري ...
ضاعت كل جهودى لدعوة زملائي من الفصل ... وعلى رأسهم ألفت ....هباء .

(٣)

وسط إنهياري .... وعدتني أمي بأن تحاول أن تستمر الأمور طبقا لما خططت له... ولكن (أصبر شوية لحد مانشوف).
جلست علي عتبة الباب ، نادباً حظي العسر .... ولَم أجد من أصب عليه اللوم غير عبد الناصر !!.
وإذا بي (ذو الثماني سنوات من العمر) قد بدأت أحاور عبد الناصر لائماً :
- ليه يابابا جمال كده ؟ (فقد عودونا ان نسميه بابا جمال)
- إنت متت بجد ؟
- إزاي تموت ، دول كانوا بيقولوا إنك بتتشيل الهرم علي صباع واحد؟
- ده لما كنت أحب العب مع حد أو آخد حاجة من حد أقوله (يارب بباك بيقي

جمال عبد الناصر) .... وكان بيوافق علي طول ؟
- أنا بحبك ... ماتزعلش عشان قولت عليك «طز» ... بس أنا عايز أعمل عيد ميلادي، ماليش دعوة؟
- بص ... إطلع قول إنك مامتتش ... وأنك كنت بتهزر وأبقي موت بكره؟
- أو موت بالليل بعد ما أخلص عيد الميلاد ....
- أنا حافظ كل الأناشيد بتاعتك ... ناصر يا حرية ... ناصر يا وطنية ... يا روح الأمة العربية .. يا ناصر .
- معقول ... تبقي روح الأمة العربية كلها وتموت يوم عيد ميلادي ...
- أنا عارف إنك سامعني ... إرجع وبعدين موت بكره ... أو موت بالليل بعد عيد الميلاد .

وفجأة قطع الغلس الواد محسن راشد جارنا هذا السيجال الرائع مناديا...تعالي الحق كلنا حنروح عند ناصية شارع ١٨ إجري بسرعة...
وجري محسن فى إتجاه شارع ١٦ ومن خلفه شاهدت أحمد فاروق ... يليه أحمد سعيد ... ثم من بعدهم محمد إسماعيل الشهير بزقلط ... ومادام زقلط فى الموضوع ... فالموضع مهم ....

أخذني الفضول لأهرول لاحقاً بمحسن لأكتشف هذا الأمر الجلل ...هامساً لنفسي ... صاباً كل اللعنات فوق رأس محسن، (الله يخرب بيتك يا محسن ، ده كان خلاص حيوافق).

وكان الأمر الجلل أن الشباب (الأكبر منا سناً) قد إجتمعوا عند ناصية الشارع فأحضروا برميلا ... وملأوه بالمياه ...وطلبوا من الصغار(أنا ومحسن وآخرين) ... أن نجمع قطع الخشب ليشعلوا ناراً لغلي المياه ...وأشتروا صبغة باللون الأسود .... وبدأو في التقليب داخل البرميل.

وكانت مهمة الصغار (كأمثالي أنا ومحسن) هي تجميع ملاية سرير قديمة من كل بيت ... وصباغتها باللون الاسود ... والعودة لتسليمها لكل بيت ... علي أن تنشر في البلكونات حزناً علي عبد الناصر... على أن تحفيز شباب المنطقة لنا نحن الصغار كان مؤثراً ... حتي نجمع أكبر عدد من الملاءات ...

وبدأت بأمي التى وافقت على الفور ... بعد أن ادركت أن ذلك قد ينسيني الحزن على عيد الميلاد الاسطوري الضائع ... فملاية من طنط أيلين ... وأخري من طنط أم

وفاء ... يتبعها ملاءة كبيرة من طنط أم طارق ... أما طنط أم جمال فقد أعتذرت ... ووعدت بنشر طرحتها السوداء .

ودبت في روح الوطنية والشهامة لأجد نفسي منهمكا في جمع الخشب ، متفانيا في جمع الملايات من البيوت , متحولا الى اللون الأسود من جراء الخشب المحترق من ناحية ومن جانب الملايات المصبوغة من ناحية أخري ...
بل ووصلت درجة التفاني لروتها ... حينما قررت أن أتبرع بجنيه من مخصصات عيد ميلادي لشراء كيس صبغة سوداء ...مشاركة مني في هذا الكرب الجلل...

لأكتشف أن الجنيهات السبعة قد سقطت من جيب الشورت أثناء الجهاد الناصري ، بينما سقطت قيمة البنطلون الكاوبوي من الجيب الآخر ...

وأنهمرت فى البكاء ... وظل شباب الشارع وسيداتها يواسونني فى حالة التفحم والشحتفة التى وصلت إليها ... ظناً منهم أنني كنت أذوب عشقا فى عبد الناصر ...
نعم أني أحب عبد الناصر ... لكني أبكي على الجنيهات العشرة ... وحلم البنطلون الكاوبوي.. وليذهب البنطالون الكاوبوي إلي الجحيم ... ولكن التورتة والطراطير قد ذهبوا أدراج الرياح.. وضاعت كل أحلام عيد ميلادي الثامن ....

وفى ظل حالة البكاء الهستيري التى انتابت العبد لله ذو الاعوام الثمانية ... فقد تم إستدعاء عم أبو رضا ... وهو من كبارات الشارع ليأتي مواسياً , مربتاً علي كتفي ...ما تخافش يا بني.. جمال مات ... لكن كلنا جمال ...

(٤)

لم تستمر تلك الشحتفة الناصرية طويلاً ...بل إكتفيت بهذا القدر من البكاء على الجنيهات العشرة ... والذي بدي لأهل الحي على أنه ... الإنهيار حزناً على رحيل جمال عبد الناصر ...
وذهبت أنا ومحسن نتفقد كل الأماكن التى مررنا بها ... علنا نجد أي من رأس مال حلمي الضائع ...
ومر اليوم بدون عيد ميلاد ... إلا من هدية من أحد خالاتي ومن أخي الاصغر .. بينما تحجج الباقين بالحزن على عبد الناصر للإفلات من الهدايا ...
ولم تحضر ألفت لمواساتي ... بل أرسلت محمد ... ليعتذر ... بينما أهدتني تلك الكوباية التليسكوبية ... البلاستيكية ... فى صباح اليوم التالى ... والتى لم تدم

طويلا بعد أن جلس عليها قدرى وزميل الدكة .. محسن ...
وصارت رحلات المدارس إلى قبر جمال عبد الناصر .. فبكيت مثلما بكي الاخرون , بل وكنت أبكي بحرقة كلما مر أتوبيس الرحلات من أمام المسجد والضريح ... وظللت الطفل الوحيد الذي يبكي كلما ردد الأطفال نشيد الوداع .
الوداع....يا جمال .... ياحبيبَ الملايين ...الوداع
ثورتك ... ثورة نضال ... عشتها طول السنين ... الوداع
وظللت الرجل الكبير ... الذي يبتسم بلا داعي ... بعد قراءة الفاتحة ... كلما مر أمام الضريح فى أي مشوار للعباسية ...أو أتت بالبال ذكري وفاته ...
لَم ادري حتي الان هل كنت أبكي افتقاداً لعبد الناصر .... أم حزناً علي الجنيهات العشرة وعيد الميلاد الذي ذهب ادراج الرياح ... الوداع يا بابا جمال

- تمت -